
أخى العزيز
من فضلك
اذا اعجبك الكتاب قم بشرائه

ونفسٍ وما سواها

الناشر: دار الفاروق للنشر والتوزيع

الحائزة على الجوائز الآتية

جائزة أفضل ناشر ثقافي عام في مصر لعام ٢٠٠٤

جائزة أفضل ناشر للأطفال والناشئة في مصر لعام ٢٠٠٣

جائزة أفضل ناشر مدرسي في مصر لعام ٢٠٠٣

جائزة أفضل ناشر للترجمة من وإلى اللغة العربية في مصر لعام ٢٠٠٣

جائزة الإبداع في مصر لعام ٢٠٠٢ (الجائزة الذهبية)

جائزة أفضل ناشر علمي وجامعي في مصر لعام ٢٠٠١

جائزة أفضل ناشر علمي وجامعي في مصر لعام ٢٠٠٠

المركز الرابع كأفضل دار نشر على مستوى العالم

في مجال الترجمة في معرض فرانكفورت عام ٢٠٠٠

وسط البلد: ٣ شارع منصور - المبتديان - متفرع من شارع مجلس الشعب

محطة مترو سعد زغلول - القاهرة - مصر.

تليفون: ٧٩٥٣٠٣٢ (٠٠٢٠٢) - ٧٩٤٢٢٠٣ (٠٠٢٠٢)

فاكس: ٧٩٤٣٦٤٣ (٠٠٢٠٢)

العنوان الإليكتروني: **www.darelfarouk.com.eg**

الطبعة الأولى ٢٠٠٥

عدد الصفحات ٢٢٤ صفحة

رقم الإيداع ٨١٣٢ لسنة ٢٠٠٥

الترقيم الدولي: 977-345-945-4




ونفسٍ وما سواها



فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
جاد الحق علي جاد الحق
رحمه الله





التعريف بالإمام الأكبر

فضيلة الشيخ جاد الحق

مولده ونشأته:

هو فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق، حنفي المذهب، ولد بجهة بطرة مركز طلخا محافظة الدقهلية في عام ١٩١٧م، حفظ القرآن الكريم وجوده بعد أن تعلم القراءة والكتابة بكُتاب القرية، ثم التحق بالجامع الأحمدي بطنطا في سنة ١٩٣٠م، واستمر فيه حتى حصل على الشهادة الابتدائية في سنة ١٩٣٤م، وواصل فيه بعض دراسته الثانوية، ثم استكملها بمعهد القاهرة الأزهري حيث حصل على الشهادة الثانوية سنة ١٩٣٩م، بعدها التحق بكلية الشريعة وحصل منها على الشهادة العالية سنة ١٩٤٣، ثم التحق بتخصص القضاء الشرعي في هذه الكلية، وحصل منها على الشهادة العالمية مع الإجازة في القضاء الشرعي سنة ١٩٤٥م.

- **مناصبه:**

عمل فور تخرجه موظفًا بالمحاكم الشرعية، ثم أمينًا للفتوى بدار الإفتاء المصرية، ثم قاضيًا في المحاكم الشرعية، ثم تدرج في القضاء بعد إلغاء المحاكم الشرعية حتى أصبح مفتشًا أول بالتفتيش القضائي بوزارة العدل.

- **منصب الإفتاء:**

عين فضيلة الإمام مفتيًا للديار المصرية عام ١٩٧٨، فكرس كل وقته وجهده في تنظيم العمل بدار الإفتاء، وعمل على تدوين كل ما يصدر عن الدار من فتاوى في تنظيم دقيق حتى يسهل الاطلاع عليها عند الحاجة في أقل وقت ممكن، ثم توج

عمله بإخراج الفتاوى التي صدرت عن الدار في قرابة ثمانين عامًا من سجلات الدار حتى تكون في يد كل مسلم يريد الاطلاع عليها والاستفادة منها.

• **وزارة الأوقاف ومشيخة الأزهر:**

في يناير من عام ١٩٨٢ اختير فضيلته وزيرًا للأوقاف، وفي نفس العام صدر القرار الجمهوري بتعيين فضيلته شيخًا للأزهر.

• **إنتاجه العلمي:**

لفضيلته العديد من الأحكام القضائية التي اشتملت على بحوث واجتهادات فقهية أخرجها طوال عمله بالقضاء، وكذلك البحوث الفقهية والتقارير الفنية في التفتيش على أعمال القضاة.

وقد تم نشر هذه البحوث في مجلة المحاماة الشرعية وغيرها من المجلات.

أما الفتاوى فثابتة بسجلات دار الإفتاء وبها مجموعة من الفتاوى الخاصة بأمور مستحدثة لم تطرح للبحث من قبل.

هذا بخلاف الأبحاث المطولة التي قدمها فضيلته في المؤتمرات التي شارك فيها أو التي ترأسها.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليله أما بعد.

فهذا كتاب «ونفسٍ وما سواها» لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق تقدمه دار الفاروق لقراء العربية مساهمة منها في نشر الثقافة الإسلامية.

والكتاب تدور مادته حول طبيعة النفس البشرية في التعامل مع ما يحيط بها من أمور.

فإذا كان الله ـ عز وجل ـ قد أخبرنا في كتابه الكريم أن النفس أنواع منها النفس الأمارة بالسوء وهي التي تدعو صاحبها إلى ارتكاب الآثام وفعل ما نهى الله عنه، يقول تعالى:

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[1]

ومنها النفس اللوامة وهي التي تلوم صاحبها على ما صنع من الخير أو الشر نادمة على مافات، وقد ذكرها الله عز وجل في كتابه الكريم قائلا:

﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾[2]

والنوع الثالث هو النفس المطمئنة، وهي نفس المؤمن الذي يحمد الله في السراء والضراء، ويرعى الله في كافة شئونه، فلا يؤذي جاره ولا يعادي مسلماً، ويؤدي واجبه في العمل والبيت والشارع كما أمر الله، ويحب كل الناس في الله فلا يحقد ولا يظلم ولا ييأس أو يبخل في تقديم يد المساعدة لمن يحتاج إليها.

---

(١) الآية ٥٣ من سورة يوسف.
(٢) الآيتان ١ و٢ من سورة القيامة.

تلك النفس العالية الكريمة هي التي قال الله فيها:

﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾[١]

هكذا أخبرنا الله عز وجل عن بعض أنواع النفس البشرية، ولما كان للنفس من أهمية قصوى فى حياة الإنسان لأنها قوام حياته وسبب دخوله الجنة أو النار فى الدار الآخرة، فقد دعانا الله إلى كبح جماحها، فمنا من يستجيب فيصدق فيه قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[٢]

ومنا من ختم الله على قلبه وسمعه فلا يسمع لكلام الله فيقع فى الخطأ والخطيئة.

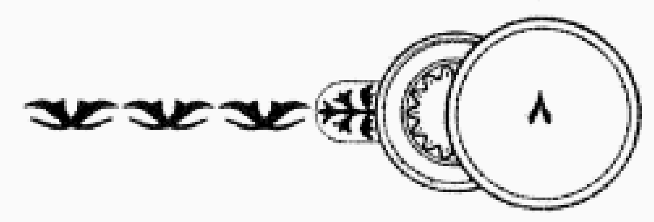
لهذا وقف فضيلة الإمام الأكبر طويلاً أمام النفس الإنسانية، محاولاً تشريحها طوليًا وعرضيًا من الداخل، محللاً ومفسراً أفعالها وردود أفعالها فى شتى المواقف، محدثنا فضيلته عن السلوك المستقيم للنفس البشرية، وعن النفس التي تميل إلى الإسراف والترف أو البخل والحرص، كما حدثنا عن النفس التي تحمل فوق طاقتها ما لا تطيق، وعن آداب البيع والشراء وأخلاقيات النفس من صدق ووفاء أو كذب وخيانة.

حدثنا فضيلته فى كل تلك الأمور حديثًا عذبًا يجلي الغامض من الأمور ويعمق بداخلنا الشعور بالرضا والسعادة واطمئنان النفس.

فجزاه الله عنا وعن أمتنا خير الجزاء.

---

(١) الآيات من ٢٧ : ٣٠ من سورة الفجر.
(٢) الآية ٤١ من سورة النازعات.



اهدنا الصراط المستقيم

هذا هو الإسلام قد أقيم على أسس متحدة في الغاية - التي تنحصر في المعرفة بالله عن طريق عبادته - مختلفة في حكمة التشريع ومسوغاته وفي الآثار الخلقية والاجتماعية.

وها هو القرآن في أول سورة منه (الفاتحة) يوجهنا إلى خير دعاء وأصدق ثناء على الله الذي خلق فسوى وقدر فهدى؛ سورة نرددها في كل ركعاتنا في الصلوات التي نؤديها كل يوم وليلة، نطلب بها الهداية من الله إلى الطريق المستقيم وإلى السبيل القويم الذي لا عوج فيه ولا أمْتا.

هذه الهداية التي نطلبها من الله في صلواتنا يحتاجها كل إنسان؛ المتعلم والجاهل، الصحيح والمستقيم، الذكر والأنثى.

إن الخير بجانب الشر كلاهما يُذَكر بصاحبه بل ويجر إليه، والإنسان بينهما مضطرب متعدد الميول، فقد تتحول الشجاعة إلى تهور وانتقام، وقد يصير الكرم تبذيرًا وإسرافًا بل وإتلافًا، وقد يصير العلم أداة تخريب وتدمير، وأمام كل تلك الميول والنزوات لا بد للإنسان أن يطلب من الله الهداية إلى الصراط المستقيم.

والقرآن قد فسر هذا الصراط المستقيم بأنه:

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾[1]

ومن ثم، كان حتمًا أن نستبين هذه الصراط المتباينة في الحقيقة، ولقد بينها القرآن فقال الله في سورة النساء في بيان صراط الذين أنعم الله عليهم:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩ ﴾[2]

---

(١) الآية ٧ من سورة الفاتحة.

(٢) الآية ٦٩ من سورة النساء.

والذين أنعم الله عليهم هم أيضاً الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض وفي خلق البحار والأنهار والفلك التي تجري بأمره والشمس والقمر دائبين وسخر الليل والنهار.

هم الذين إن عدوا نعمة الله عجزوا عن حصرها وإحصائها. كما جاء في سورة إبراهيم:

﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (١)

وهم الذين يرجعون بعد تعداد هذه النعم إلى الله بالشكر، وإلى أنفسهم بالإنابة والخضوع لله وخشيته. أما المغضوب عليهم، فهم كما نص القرآن من كفروا بآيات الله وعتوا عن أمره وقتلوا الأنبياء، وإذا كان هذا حالهم مع خالقهم ورازقهم، فكيف بهم مع الناس؟! لا شك أنهم لا يبالون بأوامر المجتمع ولا بنظامه، فباءوا بغضب الله وسخطه.

المغضوب عليهم هم الذين يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، أي هم الذين لا يرضون بحال، القلقون الذين لا تطمئن لهم قلوب، فمردوا على النفاق والشقاق وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله:

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ (٢)

---

(١) الآية ٣٤ من سورة إبراهيم.
(٢) الآيتان ٨٩ و٩٠ من سورة البقرة.

أما الضالون فهم أولئك الذين يتشككون في أن من ورائهم حسابا وعقابا ومسئولية، وإن أفلتوا من لقاء هذا الجزاء في الحياة فلن يفلتوا يوم الحساب أمام الله، ذلك قوله تعالى في سورة الشورى:

﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ﴾[1]

الضالون هم الذين لا يحكمون بين الناس بالحق والعدل، وهم الذين يقدمون الهوى على الدين ناسين أو متغافلين عن قول الله في سورة ص:

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾[2]

هذا هو الصراط المستقيم:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[3]

---

(١) الآية ١٨ من سورة الشورى.
(٢) الآية ٢٦ من سورة ص.
(٣) الآية ١٥٣ من سورة الأنعام.

وقال في سورة يوسف:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[1]

وإذا كان القرآن قد بدأ بسورة الحمد والثناء والصراط المستقيم، وكانت مفروضة في كل ركعة من ركعات الصلاة على كل المصلين المؤمنين بالقرآن وبالإسلام، وفيها الاستعانة بالله وحده لاغير، فقد اختتم الله هذا الكتاب بسورة الاستعاذة برب الناس:

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾[2]

فكما أمر الله في افتتاح كتابه ألا نستعين إلا به، أمرنا في ختامه ألا نستعيذ إلا به؛ فهو رب الناس، وهو الذي أفاض عليهم بعدله وإحسانه ما يصلح به شأنهم ويدفع عنهم ما يضرهم، وهو ملك الناس ومالكهم، وهو إله الناس فليس لهم مالك سواه سبحانه:

﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾[3]

---

(١) الآية ١٠٨ من سورة يوسف.

(٢) سورة الناس.

(٣) الآية ٢ من سورة الفرقان.

فالناس مطالبون أن يستعيذوا بالله ربهم ومالكهم وإلههم من شر الوسواس حتى لا يضرهم في الدين أو الدنيا وحتى لا يلبس عليهم أمورهم. فإذا استعاذوا به، أعاذهم لأنهم عباده والله يقول في سورة الحجر:

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[1]

حماية من الله وهبها وأسبغها على عباده المؤمنين. فليستعذ المؤمن بالله وليحتم به من شر الوسواس الخناس ومن شر الناس قرناء السوء.

لقد وضح الله لنا الطريق المستقيم في أول سورة في القرآن وعلمنا الحمد والثناء والدعاء، وحمانا في آخر سورة في القرآن بأن أمرنا بالاستعاذة برب الناس ملك الناس إله الناس من شرور الناس ومن شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ففاتحة الكتاب استعانة بالله وقل أعوذ برب الناس استغاثة بالله.

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[2]

إنه الله الذي قال:

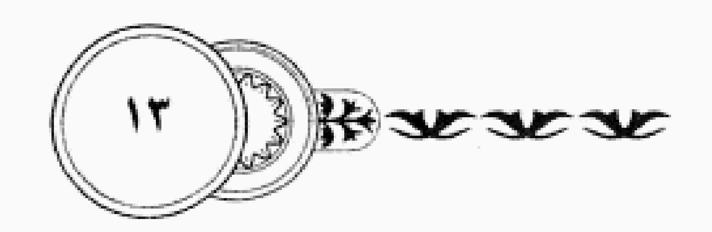
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[3]

---

(١) الآية ٤٢ من سورة الحجر.

(٢) الآية ٦٢ من سورة النمل.

(٣) الآية ٦٠ من سورة غافر.



فلنجرب هذا الدواء

هكذا كان الإنسان في كل أجياله، حين يعنى بجسده، فيطعمه ويلبسه ويغفل عن روحه فيهملها، فيتبلد منه الحس وتَذْوِي فيه العاطفة، فتنقطع أوصال المودة والرحمة بين أفراد الأسرة، ويسري هذا في كيان المجتمع فتسوء الحال، وتسود الأنانية والشح، وينزوي التدين في طيات نفس الإنسان، وقد غلبت عليه شقوته بهذه المادية التي استغرقت كل حواسه، فأماتت الفضائل وأحيت الرذائل.

وكان صنع الله سبحانه الرءوف الرحيم بالإنسان الذي استخلفه في الأرض أن يصوب له أخطاءه، فيهديه من الضلال، وينقذه من الأوحال بإرسال الرسل هداة، دعاة إلى الخير الذي يصل الإنسان بربه وبعبادته، تنقيةً للنفس وتزكيةً لها، حتى تكون عناية الإنسان بنقاء نفسه على قدم المساواة مع رعايته لتطهير بدنه وتجميل هيئته، وهذا هو القرآن ينبه إلى اقتران طهارة الباطن بالظاهر فيقول الله سبحانه:

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ ﴾[1]

ويقول:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٥٣ ﴾[2]

ونحن - المسلمين - نواجه في هذا العصر فتنًا كقطع الليل المظلم تواكبت معها المحن، حتى تفرقت بنا السبل، ولم نعد نفرق بين النفع والضر، انبهارا بالمادة حتى انصرفت همتنا إلى تحصيل مالا بقاء له، وغاب عنا أن في طهارة النفس ونقاء

---

(١) الآيتان ٤ و٥ من سورة المدثر.
(٢) الآية ٥٣ من سورة الأنفال.

الروح وتقوى الله الوقود الذي لا يفنى وصولاً إلى السعادة في هذه الحياة، ويوم نلقى الله، إيمانا بوعد الله الذي لا يتخلف في قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[١]

هذا الوعد من الله الكبير المتعال الكريم اللطيف الخبير بعباده هو الدواء لأدوائنا التي عمَّت حتى طمَّت في كل نواحي الحياة، فرادى وجماعات. ذلك الدواء بأيدينا أن نصنعه لأنفسنا في بيوتنا وفي مزارعنا وفي تجارتنا وفي مصانعنا وفي شوارعنا وفي وظائفنا في كل قول وعمل.

هذا الدواء ليس في حاجة إلى معامل وأجهزة معقدة تنحل وتختل. إنه من وصف الله سبحانه:

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾[٢]

إنه من عنصرين، الإيمان والتقوى، (ولو أن أهل القرى أمنوا واتقوا..) الإيمان استمساك بعقيدة الإسلام، بكافة عناصرها: أصولها وفروعها، والتقوى التزام في الأداء لحدود وآداب وأخلاق وسلوكيات الإسلام، بما في هذا تحمل المسئولية التي أجملها الله في قوله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[٣]

حين نتواصى بتعاطي هذا الدواء، والمواظبة عليه، تتجاب عنا المسلمات والنوائب بفضل الله ورحمته.

(١) من الآية ٩٦ من سورة الأعراف.
(٢) الآية ٨٠ من سورة الشعراء.
(٣) الآية ٦ من سورة التحريم.

لنذكر أننا نتصارع ونسارع إلى الوقوف في طوابير متراصة عندما يشح الغذاء أو الماء، فهلا أسرعنا بذات الهمة إلى بركات السماء والأرض بالإيمان والتقوى كما أرشدنا العلي القدير.

لنذكر: أن الإنسان منا إذا اشتكى مرضًا أصاب جسده، هرع إلى الطبيب يستنجده وإلى الدواء يزدرده، مع أن هذا الطبيب ودوائه غير مضمون به ومنه الشفاء، فهلا أسرعنا إلى هذا الدواء - لكل أوصابنا - الذي وصفه لنا الله الذي خلق فسوى.

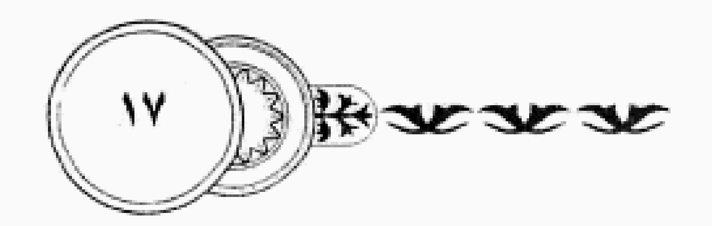
إن الإنسان يذهب إلى معامل التحاليل ليستنبيء دخائل جسده وما هو مسبب له من أوجاع وأمراض، فهلا فحصنا دخائل أنفسنا، وهي عملية محاسبة ومعاتبة، ليست في حاجة إلى تحاليل ولا إلى محاليل، وإنما عودة إلى الله وتوبة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[1]

ولنستمع إلى نوح عليه السلام ونصيحته لقومه فهي من عند الله، ودواء لداء نتخوفه وخطر نترقبه، وربما استدعينا له الخبراء وأنفقنا الأموال، وتحت أيدينا الوقاية منه والوسيلة إلى الخير من بعد الشر. استمعوا إلى هذه النصيحة واعملوا بها فهي في نطاق مكونات الدواء الذي نحتاجه:

﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾[2]

(١) الآيتان ٧٠ و٧١ من سورة الأحزاب.
(٢) الآيات من ٨ : ١٢ من سورة نوح.



ومن الأدوية لأدوائنا ما رواه مسلم[1] في صحيحه عن تميم الدَّارِي أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

قال العلماء: هذا الحديث عظيم الشأن في الدين، وعليه مدار الإسلام، فهو من جوامع الكلم التي اختص بها الرسول ﷺ وفيه قاعدة أساسية من قواعد الدين، هي أن الإيمان يقتضي الخلوص الكامل لله، والموالاة الصادقة له سبحانه، ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم.

ولقد يشيع بيننا فهم سطحي للحديث فنقصره على بعض معانيه ونظن أن المقصود به توجيه النصح للناس فقط.

وليس هذا هو المقصود الأصلي من هذا النص الجليل.

وإنما المراد الأول منه ـ والله أعلم ـ هو الخلوص الكامل لله، والموالاة الصادقة له سبحانه، ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم.

فمعنى النصيحة في الأصل الخلوص والنقاء والصدق والولاء الكامل الذي لا تشوبه شائبة.

وبهذا نفهم قوله ﷺ (الدين) أي الإيمان والإسلام و(النصيحة) أي أن جوهر الدين والإيمان هو الخلوص والنقاء.

فالنصيحة لله هي الخلوص الكامل وموالاة المرء لله، والإخلاص في عبادته والحب له سبحانه. وهذا المعنى فى قوله تعالى:

(١) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٣٧.



﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ ﴾(١)

ومعناه ـ والله أعلم ـ أن الرجل إذا كان ضعيفا أو فقيرا أو مريضا لا يستطيع أن يسهم في العمل لدين الله لم يضره ذلك شيئا مادام صادقا مع الله مخلصا لدينه، مواليا لله أصدق الموالاة.

وقد استرسلت الآيات في بيان هذا المعنى بعد ذلك فقالت:

﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾(٢)

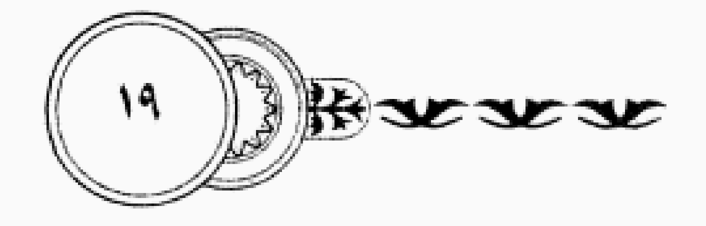
فذكرت الآيات أن العجز عن بعض العمل في عهد الصحابة عوضه الصدق مع الله والإخلاص له سبحانه، رغبة فيما دعا إليه، وعزوفا عما نهى عنه، واجتهادا في عبادته واعترافا بنعمته.

قال تعالى:

---

(١) الآية ٩١ من سورة التوبة.

(٢) الآيتان ٩٢ و٩٣ من سورة التوبة.



﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾(١)

ومن الموالاة لله، الموالاة لمن أطاع الله، والبغض لمن عصاه، وخفض الجناح للمؤمنين، والرحمة بالضفاء والمساكين.

وأما النصيحة لكتاب الله فهي الموالاة له والإيمان به، والعمل بما فيه، والإقبال عليه والإكثار من تلاوته كما أنزل على رسول الله، والإنصات له، والسرور لبشارته، والخشوع عند إنذاره، والتفقه في أحكامه والدفاع عنه إذا تعرض لتأويل المحرفين، أو طعن الملحدين.

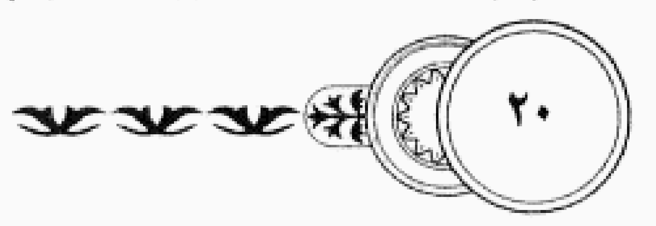
وأما النصيحة للرسول فهي الموالاة له في حالين: في حال حياته، وبعد مماته، ولقد أخلص أصحابه له في حياته، فأيدوه، ونصروه، وعادوا من عاداه، وسمعوا له وأطاعوا وبذلوا النفوس والأموال فداءً له.

قال تعالى:

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾(٢)

والنصيحة للرسول بعد وفاته التزام التوقير والإجلال، والمحبة له عليه السلام والاجتهاد في التعرف على سنته ونشرها، والتفقه في شريعته ومحبة آله وأصحابه، والاهتمام بأمر أمته، والتأسي به في أخلاقه وسيرته وآدابه ﷺ.

(١) الآية ٥ من سورة البينة.
(٢) الآية ٢٣ من سورة الأحزاب.



والنصيحة لأئمة المسلمين طاعتهم إذا أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وبيان أحكام الله، والنصح لعامتهم بلزوم جماعة المسلمين وعدم الخروج عليها والتعاون مع الحكام في إشاعتها وتنفيذها حتى تكون الأمة كلها كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.

طريق إلى الحياة الطيبة

قال تعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[1]

ذلك وعد الله، وهو حق وصدق، وإرشاد إلى طريق الخير والسعادة، إلى الحياة الطيبة التي لا تدرك إلا بالأعمال الصالحة، بالثبات والاستقامة على طريق الإسلام.

والحياة الطيبة في الدنيا هي السعادة، وقد يحسبها بعض الناس أنها تتمثل في المآكل الشهية الملونة والملابس المتنوعة والقصور المشيدة المزخرفة والنقود المكتنزة وسائر ما يعتبر عادة وسيلة رفاهية وسعة. وليست السعادة هي كل ذلك، فإن التوسع في أمور الحياة والتمتع بأنواع شتى من المشهيات أمر يشترك فيه الصالح والطالح، والبر والفاجر، والله سبحانه يرزق بفضله من يحب ومن لا يحب ولكنه لا يعطي الدين إلا لمن أحب.

ولكن الحياة الطيبة في الدارين إنما تدرك وتنال بالأعمال الصالحة مع الثبات والاستقامة على أوامر الله، من المحافظة على الصلوات وأداء الزكوات، وبسط اليد بالصدقات، وصلة القرابات، والإحسان إلى المساكين والأيتام وذوي الحاجات، والتفريج عن المكروبين والمنكوبين وبخاصة من ذوي الهيئات، والتزود بنوافل العبادات. فإن من لازم هذه الأعمال وكان سعيه في كسب المال الحلال أحياه الله حياة طيبة سعيدة يجد لذتها في نفسه، وتسري بالصحة والطمأنينة على سائر جسده.

---

(١) الآية ٩٧ من سورة النحل.

نعم: إن العمل الصالح من أسباب انشراح الصدر، وتيسير الأمر، وسعة الرزق وزوال الغم والهم. إن الأموال في ذاتها دون صالح الأعمال، لا تعد من سعادة الحياة، بل هي على الضد من ذلك قد تصبح وبالاً على من انشغل بها ولم يؤد حق الله فيها، يقول الله سبحانه:

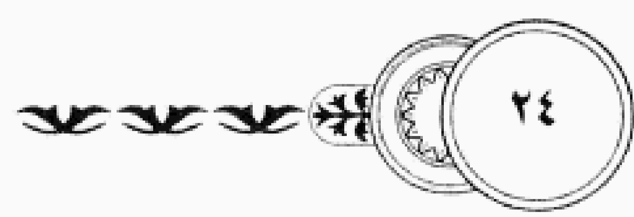
﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[1]

فيظهر صاحبها بين الناس جزوعًا هلوعًا، تحوطه الهموم، ويجافيه السرور.

وليس هذا ذمًا للمال في كل الأحوال، فإنه عدة الحياة، ولكنه تحذير من الأفعال السيئة في الأموال، كأن يكتسب من طريق الحرام، أو يستعان بها على الإجرام والآثام، أو تشغل عن عبادة الله وتلهي عن الصلاة والزكاة، وسائر أعمال البر والخير والإحسان.

ومن أخذ المال من حله وأدى منه حقه الواجب كان له حسنات ورفع درجات، فالعمل الصالح يتبعه سعة الرزق وصحة الجسم والمحبة في قلوب الناس. فإن من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرًا، وليست التقوى إلا أداء ما فرض الله والكف عما حرم الله، سواء في هذا أعمال العبادات المفروضة أو التعامل مع الناس على نحو ما شرع الله ورسوله، وسواء في ترك المحرمات ما كان منها إيذاءً للخلق أو نكوصًا عما أمر به الحق، فإن كل ذلك مذموم يبتعد بالمسلم عن نطاق العمل الصالح الذي يؤدي إلى الحياة الطيبة التي وعد الله بها عباده الصالحين في الحال والمآل.

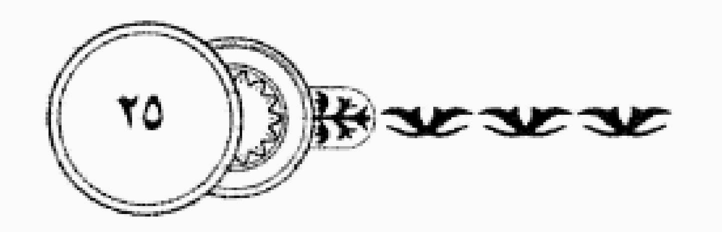
(١) الآية ٥٥ من سورة التوبة.



فلنمتثل لأوامر الله ولنراقبه في السر والعلن ولنخلص لربنا العمل، ولنصلح ما بيننا وبين الله يصلح الله ما بيننا وبين الناس، فإن القلوب بيده والأرزاق من فضله وإن الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه. ولنعمل من الصالحات ما يكون لنا أجراً في الدنيا وذخراً في الآخرة. وما بكم من نعمة فمن الله، والنعم مختلفة متنوعة فهذا قد رزقه الله مالا حلالاً، وذاك قد منحه الله العافية والصحة، وذلك قد منَّ الله عليه بالعلم وزانه بالأخلاق المرتضاة، وكل أولئك وسيلته العمل الصالح الذي جزاؤه من الله الحياة الطيبة في الدنيا والجزاء الأوفى بأحسن مما عمل في الآخرة:

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[1]

(١) الآيتان ٣٧ و٣٨ من سورة النور.



استدامة العمل الصالح

روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «عليكم من الأعمال ما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا».

ومعناه: أن الله تعالى لا يقطع ثوابه عنكم جزاء لصالح أعمالكم مادمتم على هذه الأعمال فإذا قطعتموها توقفت المثوبة. فعليكم من الأعمال ما تطيقون الدوام عليه، ليدوم ثواب الله لكم وفضله عليكم.

وفي سياق هذا الحديث قالت عائشة رضي الله عنها: وكان أحب الدين إليه - أي إلى النبي ﷺ - ما داوم صاحبه عليه[1].

أي أن أحب الأعمال الصالحة إلى النبي ما تيسر لصاحبه أن يدوم عليه.

إن الناس لا يستوون في مقاصد سعيهم فمنهم من يريد الدنيا، ومنهم من يريد الآخرة: منهم من يبتغي الكسب والعيش القريب، ومنهم من يرجو ثواب الله ويطلب مرضاته.

وقد وعد الله المؤمنين إذا ابتغوا فضل الله أن يعطيهم من ثواب الدنيا وثواب الآخرة، أن يرزقهم رزقا حسنا في الأولى، ويمنحهم جزاءً كريمًا في الحياة الباقية.

يقول الله سبحانه:

﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾[2]

---

(١) أخرجه البخاري وابن ماجه.

(٢) الآية ١٣٤ من سورة النساء.

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة. ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له، فلا يمسي إلا فقيراً، ولا يصبح إلا فقيراً، وما أقبل عبد على الله بقلبه، إلا جعل الله قلوب المؤمنين تنقاد إليه بالود والرحمة، وكان الله بكل خير إليه أسرع».

وروى الترمذي أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يقول الله تعالى: يا ابن آدم، تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإن لا تفعل ملأت يديك شغلاً، ولم أسد فقرك».

لقد وعد الله عباده بالثواب الكريم والجزاء الوافي لمن أطاع وعمل صالحًا، والمؤمنون يبتغون وجه الله ويعملون طلبًا لمرضاته، لكن منهم من يغالي فيشق على نفسه، ويشتد عليها، ويكلفها ما تعجز عن الاستمرار فيه، فينقطع في الطريق، ويكون كالمنبت الذي قسا على دابته في السفر فعجزت به، فلا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى.

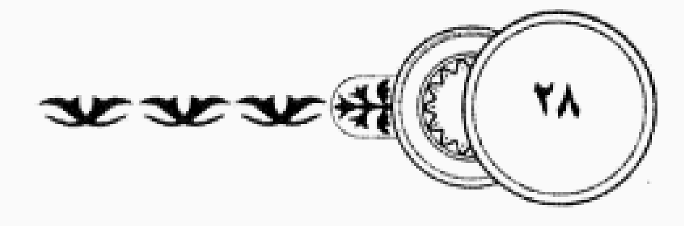
وكان خيرًا له أن يعمل بقول الرسول ﷺ: «عليكم من الأعمال بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا»[1].

وكان خيرا له أن يعمل بقول الرسول ﷺ: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة»[2]. وليس معنى هذا أن يتراخى المسلم في عبادته وفي طاعته، ولكن المقصود أن يكون عمله وسطًا، واجتهاده في حدود طاقته حتى يتيسر له الدوام على الطاعة،

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري والنسائي.



والاستكثار من الخيرات، وبخاصة إذا ارتفع به العمر، فقد كان النبي ﷺ أكثر الناس قربًا من الله ومع هذا فقد كانت صلاته قصدًا «أي وسطًا» وكانت خطبته قصدًا كما في الحديث الصحيح.

لقد ازداد قرب النبي ﷺ من ربه حين ارتفع به العمر، روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: إن الله عز وجل تابع الوحي على رسول الله عليه وسلم قبل وفاته حتى توفي أكثر ما كان الوحي عليه.

وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يبعث كل عبد على مامات عليه».

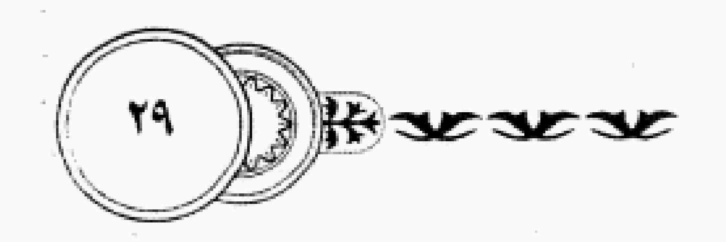
هذا، ولا يظن أحد أن الإسلام يدعو المسلمين إلى الانقطاع إلى العبادة، فقد جعل الله الثواب على كل عمل نافع يؤديه المسلم، واعتبر السعي على الرزق من حلال عملا مأجورا من الله، وأمر به حين قال الله في القرآن:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1]

إن الإسلام دين حياة، عقيدة وعمل، فأتوا منه ما استطعتم.

---

(١) الآية ١٠ من سورة الجمعة.





العمل شرف

في سورة يس قول الله تعالى:

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[1]

وفي الحديث الذي رواه الطبراني بإسناد حسن أن رسول الله ﷺ قال: «طلب الحلال واجب على كل مسلم»، وفي رواية للطبراني والبيهقي: «طلب الحلال فريضة بعد فريضة».

من هذه النصوص وأمثالها في القرآن والسنة الشريفة يتضح أن الشريعة الإسلامية قد جاءت بتنظيم حياة الفرد والجماعة في كل مجالاتها وأحوالها وعلى مختلف أنواعها.

وإذا كان المال هو قوام هذه الحياة، به يتبادل الناس المنافع، وتعمر الأرض ويسعد من عليها وكان العمل هو الوسيلة المثلى، كانت عناية الإسلام به تامة كاملة شاملة، حيث جعلته في إطار قواعد كلية منظمة مرتبة دقيقة، موجهة إلى الطرق المحمودة للعمل المثمر المباح، وكل ميسر لما خلق له.

ولقد تحدثت نصوص القرآن والسنة عن نوعيات من العمل مرغبة فيها، فهذا العمل باليد أطيب الكسب. روى البزار والحاكم عن رفاعة ابن رافع أن النبي ﷺ سئل: أي

---

(١) الآيات من ٣٣:٣٥ من سورة يس.

الكسب أفضل؟ قال: «عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور». فهذا الحديث وجه إلى أصول طرق الكسب المشروعة وهي عمل اليد، والتجارة وكل ذلك طيب وحلال.

وفي الحديث الذي رواه البخاري: «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده».

فكسب المال عن طريق عمل اليد أو التجارة شرف، والعامل المسلم حر في ارتياد ميادين العمل دون تقيد بزمان ولا مكان مادام رائده الوفاء بحاجة نفسه ومن يعولهم والنفع العام للأمة وهو قرين العبادة في الفضل والأجر.

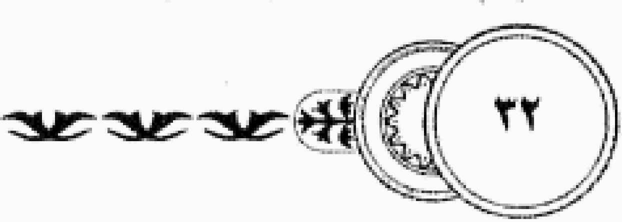
يقول الله سبحانه في سورة الجمعة:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ ﴾(١)

في هذه الآية إرشاد واضح للناس أن ينصرفوا إلى أعمالهم بعد انقضاء الصلاة، فالإسلام بهذا دنيا ودين، صلاة وسعي، وتجارة ومسجد، ومعمل ومصنع. ويكفي العمل والسعي في الأرض شرفًا وقدراً أن رسول الله محمدا، ﷺ، قد عمل وسعى وكسب أجره، فقد رعى الغنم وهو في مقتبل العمر وأعلن ذلك فقال فيما رواه البخاري: «ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم» قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «وأنا رعيتها لأهل مكة على قراريط». وشارك في التجارة عاملاً أمينًا، كما هو مشهور في تجارته مع السيدة خديجة قبل زواجه منها.

وليس مجرد العمل هو المهم، وإنما الإتقان والتجويد والإحكام وإعطاء العمل حقه ووقته ودقته، وفي هذا روى البيهقي قول الرسول ﷺ: «إن الله يحب من

(١) الآية ١٠ من سورة الجمعة.



أحدكم إذا عمل عملا أن يتقنه». فهل أخذ العمال كل العمال بهذا المبدأ أنفسهم، فجدوا واجتهدوا في الإتقان والإنجاز وتسابقوا في اختراع كل جديد مفيد إفادةً للأمة وإبراءً للذمة؟ ثم إن هذا نفع لذات العمل وكسب له، وقوة اقتصادية.

ولقد أوصى رسول الله ﷺ العاملين بالجد والاجتهاد والنشاط والبكور وافتتاح اليوم بالصلاة في مواقيتها ثم بالعمل والمواظبة عليه حتي يصير له ذلك كله عادة مألوفة دائمة منتظمة، فقال فيما رواه الطبراني: «باكروا الغدو في طلب الرزق فإن الغدوة بركة ونجاح». وحين نتلو القرآن بتفكر وتدبر سنجد الكثير الوفير الذي يحفزنا إلى العمل كل العمل المشروع الطيب الحلال، فهذا موسى عليه السلام كان أجيراً، وهذا داود كان صانعًا يأكل من عمل يده مع الملك والنبوة، ففي سورة سبأ :

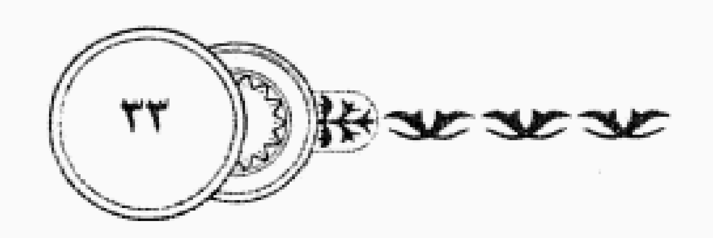
﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[1]

وهذا يوسف بما منَّ الله به عليه وعلمه من أمر تدبير الأموال والمعاش قال للملك كما جاء في سورة يوسف:

﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾[2]

(١) الآيتان ١٠ و١١ من سورة سبأ.

(٢) الآية ٥٥ من سورة يوسف.



لا يكلف الله نفساً إلا وسعها

ونحن نستعرض فرائض الإسلام وأحكامه في العبادات والمعاملات والعقوبات، نستظهر معًا بعض الحقائق عن يسر الأحكام وتيسيرها على الناس، حتى لا يحجم أحد منا عن القيام بما فرض الله في شريعته.

هذه الصلاة المفروضة ـ مع التأكيد على أدائها في القرآن والسنة والنكير على من قعد عنها أو تكاسل ـ فقد يسر الإسلام أداءها وبسط شروطها عند الضرورة رعايةً للمصلحة. فالصلاة مقبولة من المسلم في أي مكان فيما عدا الأماكن القذرة أو المستقذرة؛ ذلك قوله ﷺ: «وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأينما أدركتم فصلوا».

ورخص للمسافر بالقصر والجمع، وأعفي من حضور الجمع والجماعات تخففًا من المشقة التي تلحق المسافر.

ورخص للمريض بأن يصلي بقدر استطاعته البدنية؛ فإذا لم يقدر على الوقوف في الصلاة فقد رخص له أن يصلي جالساً أو مضطجعًا، وستر العورة من شروط الصلاة فإذا لم يجد ما يستره رخص له في الصلاة على أية حال تيسرت له، وأجاز الصلاة بالوضوء الواحد ماشاء من الصلوات، وأجاز المسح على الخفين في الحضر والسفر، وأسقط الصلاة عن الحائض والنفساء للمشقة التي قد تلاقيها لو كلفت بها. وفي الصوم أبيح الفطر للمريض وللمسافر ذلك قول الله سبحانه:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾[١]

---

(١) الآية ١٨٥ من سورة البقرة.

وأوجب على الحائض والنفساء الفطر لكي تتقوى على ما بها من أسباب الضعف، وأباح للمرضع وكبار السن رجالاً ونساءً الإفطار في رمضان مع الفدية.

أفنبتغي مصلحة أو مصالح أوسع وأوفى وأرحم من هذا الذي شرعه الله؟

وهذه الزكاة لا تجب في المال إلا في نصاب محدود بشروط منها مضي الحول، والخلو من الدَيْن. وهذا الحج فرض على المستطيع:

﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[1]

ولو فرض كل عام لشق ذلك على الناس ولما استطاعوا ولتعطلت المصالح العامة للمجتمع، وعندما قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب عليكم الحج» قال رجل: أفي كل عام يارسول الله؟ فأعرض عنه رسول الله ﷺ فأعاد الرجل مقالته هذه مرتين أو ثلاثًا فقال الرسول: «والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت عليكم ما أطقتموه، ولو تركتموه لكفرتم»[2] فأنزل الله قوله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾[3]

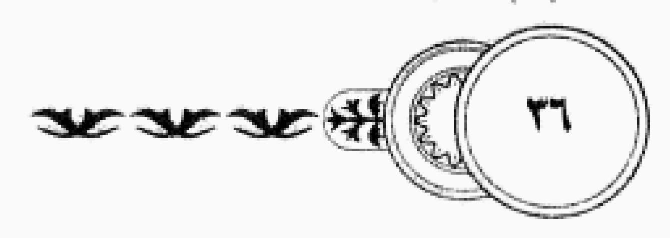
أليست هذه مصلحة راعاها الإسلام في تشريعه حتى لا يعجز الناس عن العمل ولا يقعدوا عن الطاعة؟

---

(١) الآية ٩٧ من سورة آل عمران.

(٢) جامع البيان في تفسير آي القرآن للإمام الطبري.

(٣) الآية ١٠١ من سورة المائدة.



ثم لقد أباح الإسلام أكل وشرب كل ما حرم الله على المسلم من الطعام والشراب عند الاضطرار والضرورة القصوى حفظاً للنفس. ذلك قول الله سبحانه:

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾[١]

ومن رحمة الإسلام ويسره وسماحته التجاوز عن الهفوات أو ما سماه القرآن اللمم ذلك قول الله:

﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾[٢]

وقول النبي ﷺ:

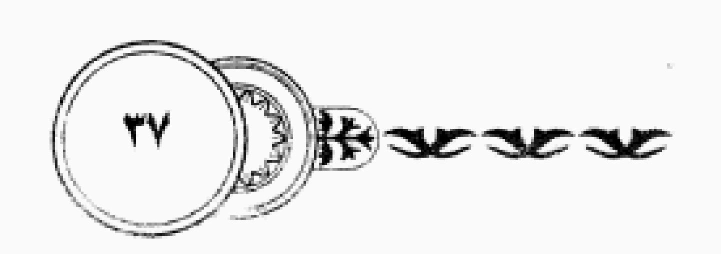
«رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[٣]

وقوله تعالى:

﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ﴾[٤]

---

(١) الآية ١٧٣ من سورة البقرة.
(٢) الآية ٣٢ من سورة النجم.
(٣) أخرجه الطبراني وابن ماجه وابن حبان والحاكم.
(٤) الآية ٥ من سورة الأحزاب.



وهذا الجزاء الأوفى للمحسن جزاء إحسانه، بل إنه كما قال الرسول ﷺ: «مَنْ همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هو همَّ بها فعملها كانت له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبت له سيئة واحدة»،[1] ذلك ما أخبر به رسول الله ﷺ في حديثه الشريف. أترانا في حاجة إلى أن نستظهر المصالح للناس من هذا الشرع أكثر وأوفى من هذا؟ وكان فضل الله عظيماً.

على هؤلاء الذين يسيئون فهم الإسلام فيقنطون من رحمة الله، ويبثون اليأس من عدل الله وسعة عفوه وعطائه، ودعوته خلقه أن يعيشوا حياتهم مؤدين حق الله وحق الناس وحق أنفسهم ذلك قول الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[2]

وقول الله:

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[3]

هذا كتاب الله هدى ونور فخذوا منه دينكم، وتلك سنة رسول الله صلى الله على وسلم فأتمروا بينكم بمعروف فإنه لن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وافعلوا الخير لعلكم تفلحون.

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.
(٢) الآيتان ٨٧ و٨٨ من سورة المائدة.
(٣) الآية ٣٢ من سورة الأعراف.



جوانب من السلوك المستقيم في الإسلام

استهدفت شريعة الله إقامة مجتمع صالح متصالح متكافل متعاون، يبادر إلى الحسنات ويتجاوز عن السيئات، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

نرى ذلك واضحاً مستقراً ومقرراً في كتاب الله وسنة رسوله، فهذا القرآن يدعو المسلمين ودعاتهم على وجه الخصوص إلى الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة. قال تعالى:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[1]

ويقول الله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾[2]

ويعاتب رسول الله ﷺ أسامة بن زيد حين أخبره أنه قتل رجلاً من جهينة بعد أن قال لا إله إلا الله حيث قال له الرسول: «أقالها وقتلته؟» قال: إنما قالها خوفا من السلاح. فقال الرسول: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟»[3].

---

(١) الآية ١٢٥ من سورة النحل.

(٢) الآية ٩٤ من سورة النساء.

(٣) أخرجه مسلم.

وهذا القرآن يحث المسلمين على أن يأخذوا أنفسهم بالرفق والحلم والعفو والإعراض عن الجاهلين وأن يقابلوا الإساءة بالإحسان فيقول الله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[1]

ويقول:

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[2]

ويقول:

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[3]

ويقول ثناءً وجزاءً:

﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾[4]

---

(١) الآية ١٣٤ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ١٩٩ من سورة الأعراف.

(٣) الآيتان ٣٤ و٣٥ من سورة فصلت.

(٤) الآية ٢٢ من سورة الرعد.

وهذا رسول الله ﷺ قدوة الأمة يقول: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»[1] ويقول: «من يحرم الرفق فقد حرم خيراً كثيراً»[2] هذه خصال حميدة ينبغي أن يتحلى بها كل داعية إلى الله ورسوله إلى الإسلام فقد أثنى الله على نبيه لرفقه وبره ورحمته في قوله تعالى:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[3]

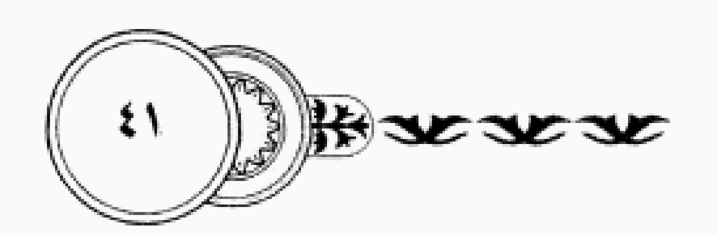
فهل يليق بعد هذا أن توصف دعوة الإسلام بالعنف والخشونة وأن يكون الدعاة إلى الإسلام غلاظ القول منفرين؟ ألا إن عليهم أن يأخذوا من القرآن طرق الدعوة ومن الرسول خلقه وحكمته. إنهم إن فعلوا فقد أوتوا خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب.

إن على الدعاة أن لا يدعو الناس إلى القنوط واليأس من رحمة الله، فلا أحد يملك على الله ولا على عباده شيئا ولا يحول أي إنسان بين الله وبين عباده، وعليهم أن يفقهوا أن اليأس من رحمة الله كبيرة لأن الله قد فتح للناس أبواب رحمته فلا يغلقها أحد من خلقه ذلك قول الله:

﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[4]

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه.
(٢) أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود وابن ماجه.
(٣) الآية ١٥٩ من سورة آل عمران.
(٤) الآية ٥٣ من سورة الزمر.



وقوله:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾[1]

وفي حديث رسول الله ﷺ الذي رواه البخاري بسنده قال: «للهُ أشد فرحا بتوبة عبده يتوب إليه من أحدكم كان معه راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح».

ألا إن الإسلام لم يأمر أتباعه بأن يستغرقوا كل وقتهم في العبادة والعمل الجاد المتواصل لأن الإنسان بوصفه وخلقته التي فطره الله عليها في حاجة إلى ترويح نفسه من العناء وفي هذا يقول رسول الله ﷺ «إن لربك عليك حقا وإن لنفسك عليك حقًا، وإن لأهلك عليك حقا».[2] وخير العبادة أدومها وإن قل.

ليس الإسلام بالعبوس فقد كان رسول الله ﷺ يبش في وجوه أصحابه ويمزح معهم ويداعب أطفالهم؛ بل لقد روي أنه داعب عجوزا سألته أن يدعو الله لها أن يدخلها الجنة: فقال لها: «إن الجنة لا يدخلها عجوز»[3] فحزنت وبكت فأخبرها رسول الله ﷺ بأن العجوز لا تدخل الجنة عجوزاً بل ينشئها الله خلقا آخر فتدخلها شابة، وتلا عليها قول الله سبحانه:

---

(١) الآية ١٣٥ من سورة آل عمران.

(٢) رواه البخاري والترمذي.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط.

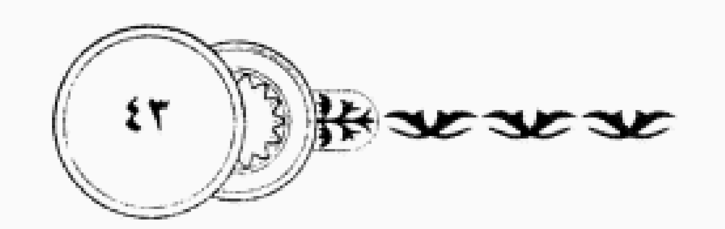
﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾[1]

خذوا الإسلام سهلاً ميسراً ولا تدخلوا في الشقاق والخلاف فإن الله قد يسر الدين ورفع الحرج عن العباد برعاية المصالح ذلك قول الله سبحانه:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[2]

(١) الآيات من ٣٥:٣٧ من سورة الواقعة.

(٢) الآية ١٥٣ من سورة الأنعام.



الوفاء

تتابعت آيات القرآن الكريم تحض على الوفاء وتخوف من الغدر، قال الله:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾[1]

وقال جل شأنه:

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[2]

وقد بين الله عز وجل أن الغدر ينزع الثقة ويثير الفوضى ويمزق الأواصر ويرد الأقوياء ضعافا واهنين فقال:

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[3]

---

(١) الآية ٣٤ من سورة الإسراء.

(٢) الآية ٩١ من سورة النحل.

(٣) الآية ٩٢ من سورة النحل.

ولقد كان العرب قبل الإسلام أحرص الناس على فضيلة الوفاء وضربوا الأمثلة في ذلك ومنها المثل المشهود (أوفى من السموءل) وقد كان السموءل وفيا بالعهد؛ فلم يسلم سلاح الكندي لخصومه ورأى عنق ابنه تضرب ورأسه يطيح، فما أجمل صفة الوفاء فهي شعبة من شعب الإيمان وخصلة من خصال الخير وفضيلة من فضائل البر تكشف عن نبل فاعلها.

وقد كان رسول الله ﷺ مثلاً عاليًا في الوفاء طوال حياته ـ ومن قبل بعثته ـ فعن عبدالله بن الحمساء رضي الله عنه قال: بايعت النبي ﷺ ببيع قبل أن يبعث فبقيت له بقية ووعدته أن آتيه في مكان فنسيت ثم تذكرت ذلك بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه، فقال: «يا فتى لقد شققت عليَّ، أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك»[1].

والوفاء بالوعد، فضيلة امتدح بها الأنبياء قال الله:

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ ﴾[2]

والأمر للرسول ﷺ أن يبين للناس ما في القرآن من قصة إسماعيل وأنه كان صادقا في وعده لأبيه بالصبر على ذبحه له، ووفيًا بوعده ففداه الله وشرفه بالرسالة والنبوة.

وها هم الأنصار رضوان الله عليهم وقد بايعوا رسول الله ﷺ ، أن يجندوا أنفسهم وأموالهم لحماية دعوته وحراسة رسالته. فقدموا دماءهم الذكية في معركة (بدر) وما أعقبها من قتال حتى تحقق النصر للمسلمين وفتحت مكة.

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) الآية ٥٤ من سورة مريم.

ومن الوفاء الاحتفاظ بالعهد للغير ولو بعد وفاته، فقد روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن صديقة لخديجة دخلت على النبي ﷺ بعد وفاتها فهش وأحسن السؤال عنها، فلما خرجت قال: «إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان»[1].

ومن الوفاء المحمود أن يذكر الرجل ماضيه لينتفع به في حاضره ومستقبله فإن كان معسراً فأغناه الله أو مريضاً فشفاه الله فليس له أن يفصل بين الأمس واليوم ويزعم أنه ما كان قط فقيراً ولا مريضاً، ويبني من حاضره مسلكاً، فهذا نوع من الغدر ينتهي بصاحبه إلى النفاق، الذي قد يطرد به من رحمة الله، قال الله تعالى:

﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾[2]

والوفاء بالوعد قوام الأمم وعليه مدار نظامها وحياتها ومن عمل الرقي والحضارة، قال تعالى:

﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى

---

(١) أخرجه الحاكم.

(٢) الآيات من ٧٨:٧٥ من سورة التوبة.

ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[1]

والموفون بعهدهم هم الذين إذا وعدوا أنجزوا وإذا نذروا وفوا، وإذا حلفوا بروا في أيمانهم، وإذا قالوا صدقوا في قولهم، وإذا أئتمنوا أدوا الأمانة.

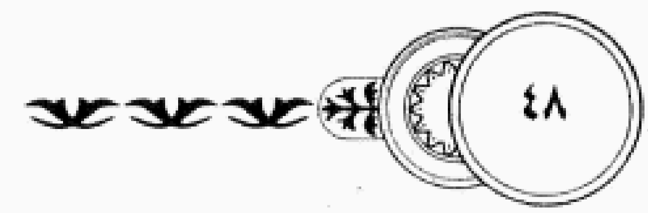
قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ ﴾[2]

وهم محافظون على كل ما ائتمنوا عليه من مال أو عمل وعلى كل عهد بينهم وبين الله، أو بينهم وبين الناس، فلا يخفون الأمانات ولا ينقضون العهود.

---

(١) الآية ١٧٧ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٨ من سورة المؤمنون.



مشكلات الشباب

من هم الشباب؟ إنهم أصحاب مرحلة من العمر تمتاز بوفرة النشاط وقوة الجسد وسعة العمل والطموح.

هم ـ دون تعرض لتحديد السن ومتاهات بحوثه ـ قوة لا تَعْدِلُها قوة في إثراء الحياة بالخير والنهوض بالمجتمع.

الشباب في كل جيل موضع الفخار والاعتزاز ومحط الأمل والرجاء، وقفوا في الصفوف الأولى في كل مكان، خاطروا بأرواحهم على متون الطائرات وبين أمواج البحار في السفن والغائصات، وبجهدهم استخرجت كنوز الأرض وقامت النهضة، وبطموحهم كانت حركات التحرير وصيحات الاستقلال.

وإذا كان للشباب هذه المنزلة وتلك المهام في حياة الأمة كان من الحتم إحسان التوجيه في الرعاية والتربية في نطاق أحكام القرآن والسنة.

وحين نتابع أسباب مشكلات الشباب في عصرنا وانحرافاته، نجد أنه يمكن إجمالها فيما يلي:

١- الفراغ الديني وسوء فهم حقيقة الدين والتربية.

٢- الانسلاخ من القيم الدينية والأخلاقية.

٣- الاستهانة بالوالدين وبالمربين.

٤- الفرقة بين الوعي الأخلاقي وبين الوعي الديني مع أن الإسلام ربط بينهما.

٥- الانحراف بالتدين لدى البعض إلى الغلو ومحاولة فرض الرأي دون تفرقة بين الدين والتدين.

٦- الأفكار الوافدة في صورة عادات أو ثقافات دون القدرة على تمييز ما لا يصلح لمجتمع المسلمين.

٧- ضآلة المعارف والمعلومات التي تمكن الشباب من مواجهة الأفكار والوقوف على حقيقتها وانحرافاتها.

٨- سوء وقصور التوجيه الذي يتلقاه الشباب سواء في المدرسة أو في نطاق الأسرة أو في الشارع أو في وسائل الإعلام المختلفة.

٩- افتقاد القدوة الرائدة في كل هذه المواقع.

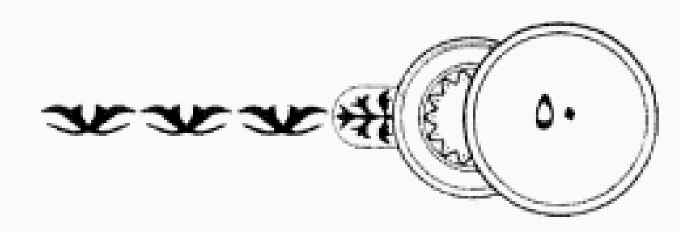
١٠- سوء فهم الوالدين والمربين لواجباتهم نحو الشباب حيث يقتصر الوالدان على توفير الإيواء والغذاء والكساء، ويكتفي المربون بشرح الدروس وإملائها دون التحام بالشباب وتعرف دخائلهم ونصحهم وتوجيههم إلى محاسن الأخلاق في العادات.

١١- التركيز على الماديات والوصول إليها كمثل أعلى وهدف وحيد في الحياة، الأمر الذي صرف الشباب إلى هذه الغاية ولم يعد يختار الطريق السوي لتحقيق أهدافه المشروعة، وانصرف بذلك عن الالتزام بالقيم الدينية والأخلاقية، باعتبار أن تلك القيم من معوقات حصوله على ما يريد من ملذات وماديات.

١٢- الشعور بالضياع وعدم الانتماء إلى أنه ذو كيان اجتماعي مترابط لما يبدو للشباب من تناقض بين الأقوال والأفعال.

١٣- سوء الفهم للحرية الأمر الذي لم يجعل الشباب يستفيد من النصح والتوجيه.

١٤- سوء فهم الحقوق والواجبات وانطباع الشباب على عدم الجدية في التصرفات نتيجة القصور في التوعية في سن مبكرة وملء أوقات الفراغ بالنافع من المشروعات الفردية والجماعية.



١٥- انغلاق الكبار عن الأجيال اللاحقة بهم وإقفال باب الحوار وانقطاع الحوار مما أدى إلى انفصال الشباب بفكر ديني واجتماعي - في الأغلب - غير رشيد.

١٦- قصور منهج التربية الدينية في كل وسائل التربية: مدرسية ومنزلية وإعلامية.

فلا يكفي في هذا المنهج التكليف بحفظ بعض النصوص القرآنية أو الأحاديث النبوية دون تعريض بالسلوكيات والآداب والأخلاق - بما يعالج واقع المجتمع - ودون المواءمة بين المعلومات وسن المتعلم.

١٧- التثقيف العام - وهو واجب وسائل الإعلام - غير مواكب للتحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وشرحها وربطها بالدين بتوجيهات صحيحة بسيطة.

١٨- تركيز الكثير من مواد الإعلام على الإثارة وإخفاء الأهداف.

١٩- الأمراض الاجتماعية وإهمال مواجهتها بقدر متفق عليه من العلم والمعلومات ثم التقليد الأعمى للغير دون مراعاة لسمات المجتمع الإسلامي.

تلك أهم العناصر التي جنحت بالشباب عن الطريق السوي، وفي القرآن والسنة وأحكام الإسلام بوجه عام تصحيح المسار.

توجيهات وأمنيات للشباب

مرحلة الشباب - بوجه عام - تمتد من الحادية عشرة إلى الثلاثين من العمر، وهي نهاية الطفولة وبداية الانتقال إلى المراهقة والبلوغ، ويتوالى النضج الجسدي، والرشد العقلي، والاجتماعي، والخلقي، والشعور بالمسئولية، والرغبة في الاستقلال بالحياة، والتطلع إلى استكمال الشخصية الفردية، والمركز الذاتي.

والشباب في هذه السنين متدرجة المراحل، والمشحونة بالتغيرات والانفعالات، في حاجة إلى رعاية حانية وحزم مع رفق.

فالشباب وقد تخطى سن الطفولة كالشجرة في بدء نموها وسموق عودها تتكاثر فروعها وتتزاحم غصونها، فإذا تركها صاحبها دون تهذيب، افتقدت جمالها، وتضاءل ثمرها، وشاه منظرها، ولو أنه تفقدها لانتظمت منها الأغصان وازدانت بالثمار.

وهكذا الطفل متى برحت الطفولة أردانه، وتفتحت في جنباته النزوات، وامتدت مع نمو جسده طفولته، تضاءل عقله، ولم تتبلور شخصيته أيا كان فتى أو فتاة، وربما تاه عن نوعه، فانتسب بفعاله إلى غير خلقه.

ومن هنا وجد المجتمع الإنساني - بالتجربة وبالتربية والتعليم وبتعاليم الإسلام - أن إعداد الإنسان لحياة مستقيمة صالحة، سالمة من العوج والانحراف يجب أن يبدأ من الصغر، وأن توضع أسسه في الحياة المنزلية في السنوات الأولى من سن الطفولة، وأن يكون موضع النظر المستمر، وأن يستعان بمختلف العوامل والمؤثرات المنتجة من قدوة صالحة، وتأديب في موضعه وتعهد، ورعاية نفسية، وتربية دينية وأخلاقية.

وإذا كانت وسائل الرعاية للشباب تتغاير من عصر إلى عصر، ومن مصر إلى مصر، فإن تنمية السلوك الأخلاقي الحميد أمر لا بد وأن يوضع في الحسبان.

دعه يفكر ويخطئ حتى يصل إلى الصواب تجربة وعملا.

إذ إن المغريات في هذا العصر مؤثرة، فإذا لم يحصن الشباب منذ الصغر ليكون ذا عزيمة، وقدرة على التغلب على ما يصادفه أو يغالبه من وسائل الانحراف تكاثرت عليه المعثرات.

وإن الشباب في هذا العصر الذي اتسم بالمادية واكتست حضارته بالميكنة الكاسحة لكل القوى الطبيعية، لا بد أن تنمو ثقافته وتمتد إلى نوعيات تتكافأ مع هذا النمو المادي للحضارة المعاصرة.

وأين هو المتاح للشباب في الأعمار المتفاوتة من مواد تثقيفية، وفنية، ورياضية وسياسية، واجتماعية، واقتصادية، ولا بد كذلك من دراسة المشكلات التي تواجه الشباب ومصاعب الحياة التي تعوق الكثيرين منهم، وهذه الدراسة تحتاج إلى التعرف على وقائع تلك المشكلات من الحوار المنير دون المثير. ويحرص الدارسون على أن يعطوا الجديد المفيد من الفكر والتجربة المناسبة للأعمال المتفاوتة حتى تكون هذه الدراسة صمام أمن نفسيًا، وثقافيًا وتربويًا تعرض القدوة من الشخصيات الفذة في سلوكها وخلقها وصمودها للعقبات وصولا إلى المأمول من الهدف المنشود.

ولعلنا نتمنى ألا نرى تلك السلوكيات غير المقبولة التي كادت أن تسود مجتمعات الشباب، نحو الأسرة والمدرسة الأمر الذي ينبغي تداركه بالحرص على أداء واجبات الأسرة الأساسية نحو الشباب تقييما لأنشطته المدرسية والاجتماعية والسلوكية، وتقويماً لأية بادرة انحراف، وعلى أن التعاون مع المدرسة والجامعة في

هذا السبيل أمر مفيد، وأنه ليس صحيحًا كل ما نراه عادةً أو عرفًا وافدًا من بيئة أخرى.

وإن مهامها أن تزرع في الشاب الأمل، وحب العمل ولتتذكر قول القائل:

وينشأ ناشئ الفتيان منا ∴ على ما كان عوده أبوه

وقول الرسول الكريم:

«أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم».[1]

(١) رواه ابن ماجه.

الإسلام ومواجهة مشكلات الشباب
وطرق بناء الإنسان بوجه عام

١- لقد كانت أول آيات أنزلت من القرآن الكريم على رسول الله محمد ﷺ افتتاح سورة العلق:

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾[1]

وبهذا أوضح القرآن أن للإنسان رحلتين: رحلة الخلق والتكوين، ورحلة العلم، وهذه الأخيرة تتشعب، وتتسع آفاقها متى أحسنت تربية الإنسان في ظل الإيمان:

﴿ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾[2]

فالإيمان هو طريق الرشد للإنسان ثم الإخاء الإنساني، إذ الإسلام لا يعرف تفرقةً بين بني الإنسان، فالكل سواء في الإنسانية، كما هم سواء في الخلق، أسرة كبيرة تربطها صلة الأرحام.

ذلك قول الله سبحانه في سورة الحجرات:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ۝١٣ ﴾[3]

---

(١) الآيات من ١:٥ من سورة العلق.

(٢) الآية ٥ من سورة العلق.

(٣) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

ولا يتعارض الإخاء الإنساني مع الإخاء الإسلامي، بل هما ملتقيان لأنهما من أحكام الله، وقد يفترقان، ولكنهما في الإسلام سماحة وإخاء وتبادل مودة واحترام.

ولقد اعتبر الإسلام العلم والتعليم فريضةً على كل مسلم ومسلمة، والعلم المطلوب هو كل علم نافع للإنسان في حياته ولأجياله.

والأخلاق هي أساس أصيل في تقويم الحياة، ومكارم الأخلاق هدف إنساني إسلامي ولقد امتدح الله الرسول بالخلق في سورة القلم فقال:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[1]

وإذا استقامت الأخلاق استقامت أمور الأمة شباباً وشيباً.

وفي سبيل تربية الشباب جاء القرآن الكريم موجها إلى واجبات الوالدين ففي سورة البقرة قول الله سبحانه:

﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾[2]

---

(١) الآية ٤ من سورة القلم.

(٢) الآية ٢٣٣ من سورة البقرة.

وفي سورة التحريم قول الله سبحانه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾[١]

وفي أحاديث رسول الله ﷺ: «أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم».[٢]

«إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيعه، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته».[٣]

وفي شأن عناية الإسلام بالشباب في الدين والعقل والجسد والخلق جاء في الحديث الشريف عن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، شاب نشأ في عبادة الله، وإمام عادل، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه».[٤] وفي الأدب والأخلاق جاء الحديث الشريف: «لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع».[٥] وفي شأن العقل والعلم والجسد يرشد إلى أسسه الصالحة الحديث النبوي الشريف «حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وألا يرزقه إلا طيبا»[٦].

---

(١) الآية ٦ من سورة التحريم.

(٢) رواه ابن ماجه.

(٣) أخرجه النسائي وابن حبان.

(٤) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي.

(٥) أخرجه الترمذي.

(٦) أخرجه الحاكم والبيهقي.

وفي التنشئة الصالحة ومدافعة الغرائز جاء الحديث الشريف: «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».[1]

ولقد سلك القرآن منهجاً فريداً ليعلم الشباب وغيرهم الحقوق ليحرصوا عليها والواجبات للمبادرة إلى أدائها، ولنقرأ ـ على سبيل المثال ـ عن هذا المنهج ما سجله القرآن في سورة لقمان:

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾[2]

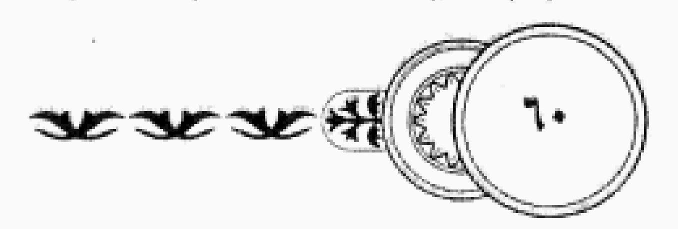
إلى أن قال:

﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾[3]

ففيها تصحيح العقيدة بالتوحيد وعدم الإشراك وفيها تهذيب السلوك والترابط بين الفروع والأصول ببر الآباء والإحسان إلى الأمهات وإن اختلف الرأي والدين وفيها إحساس بالمسئولية أمام الله الذي لا تخفى عليه خافية وفيها تغذية للعقيدة وتثبيت لها بالعبادات وفيها أداء الواجب نحو المجتمع ونشر المعرفة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في صبر وعزم وتحمل وترقب وأمل، وفيها أمر بالتواضع والوفاء والحياء.

نعم إن في هذه السورة وصايا كاملة ومتكاملة يجب أن تقوم عليها رعاية الشباب وتوجيهه في كل عصر وكل جيل وفي هذا قال بعض الحكماء: من أمضى

(١) أخرجه النسائي والبخاري.
(٢) الآية ١٣ من سورة لقمان.
(٣) الآية ١٩ من سورة لقمان.



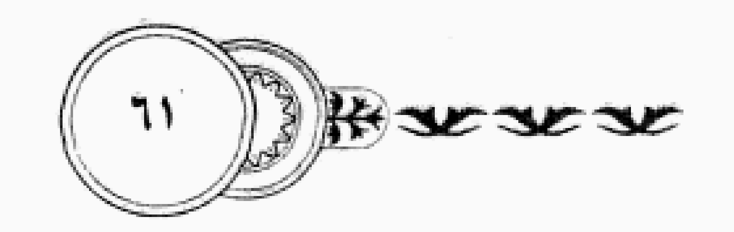
يومه في غير حق قضاه أو فرض أداه، أو حمد حصله، أو مجد أثله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه، فقد عق يومه وظلم نفسه.

وفي شأن ترسيخ العقيدة يجب أن نعلم أن الإيمان ليس مجرد كلمات أو شعارات وإنما هو قبل كل شيء عقيدة وسلوك وعمل، ولقد جاء الإيمان في القرآن مقرونًا بالعمل الصالح، فلا ينبغي أن نكون من الذين وصفهم الله في قوله تعالى في سورة الصف:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾[1]

ومن ثم كان من واجب الوالدين والمربين أن يربوا الأولاد على أن الدين عقيدة وعمل وأنه لا انفصام بينهما، وأن الدين يدعو إلى أقوم الأخلاق.

(١) الآيتان ٢ و٣ من سورة الصف.



توجيه الشباب

إذا كان الشباب مرحلة من عمر الإنسان تمتاز بوفرة النشاط وقوة الجسد وسعة الأمل والطموح، كان من الحتم إحسان التوجيه والرعاية في نطاق أحكام الإسلام وإذا كان الشباب هم مستقبل الأمة كانت متابعة مشكلاتهم لإزالتها أمراً حتماً حتى يمكن للمربين والمعلمين إرشادهم إلى طريق النجاة.

ومن أهم هذه المشكلات: الفراغ الديني، وسوء فهم حقيقة الدين، والتحلل من القيم الدينية والأخلاقية، والانحراف بالتدين إلى التطرف، دون تفرقة بين الدين والتدين، وضآلة المعارف والمعلومات التي تمكن الشباب من مواجهة الأفكار الوافدة من عادات أو ثقافات دون تمييز بين ما يصلح لمجتمعنا وما يتنافى مع الدين.

ومن عوامل الانحراف لدى الشباب: سوء التوجيه الذي يلقاه الشباب سواء في المدرسة أو في الأسرة أو في الشارع أو في وسائل الإعلام، مقروءة ومسموعة ومرئية، وهو في كل ذلك يفتقد القدرة الرائدة، حيث يقتصر دور الآباء على توفير الإيواء والغذاء والكساء ويكتفي المعلمون بإملاء الدروس وشرحها دون التعرف على دخائل نفوسهم، ومشاركتهم في تنمية متطلباتهم النفسية والعقلية حتى لا يشعروا بالضياع وعدم الانتماء إلى أمة ذات كيان اجتماعي مترابط، بل يرون دائماً تناقضاً بين الأقوال والأفعال من الكبار ذوي الرياسات ومن ثم يفتقدون القدوة الطيبة والنموذج الصالح.

ثم إن سوء فهم الشباب للحرية وعزوفه عن الاستماع إلى النصح والتوجيه، واعتباره أن في هذا تسلطاً من الوالدين والمربين قد أدى إلى إهدار الحقوق والواجبات، والقعود عن الالتزام بالجدية في التصرفات نتيجة افتقاد القدوة الحسنة في سن مبكرة واتساع أوقات الفراغ التي لم تشغل بالنافع من المشروعات.

مع أن الإسلام قد دعى الشباب، وبث فيه روح الإقبال والإقدام والحفاظ على مكانته وحقه في الحياة الحرة الكريمة وجعل زمام استقامته بيد أولي الأمر والمربين حتى يرشدوه إلى المثل العليا من سلوك وآداب الإسلام.

وعناية الإسلام بالشباب في الدين والعقل والجسد والخلق تدل عليها أحاديث الرسول ﷺ التي منها قوله: «لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع»(١).

وامتدح الحديث الشريف الشاب الذي نشأ في عبادة ربه واعتبره من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

وفي التنشئة الصالحة يقول رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»(٢). وفي حق الولد على والده جاء الحديث الشريف الذي ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب الرمي والبيهقي في شعب الإيمان، يقول رسول الله ﷺ: «حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمي».

وبهذا سلك القرآن منهجا فريدا ليعلم الشباب وغيرهم الحقوق ليحرصوا عليها، والواجبات للمبادرة بأدائها.

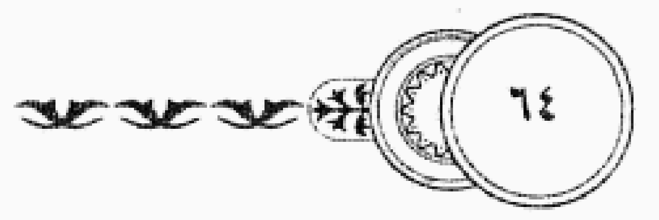
وهذا هو القرآن يسوق نموذجا من مخاطبة الشباب، ذلك قول الله في سورة لقمان:

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ

---

(١) أخرجه الترمذي.

(٢) رواه البخاري ومسلم.



فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾[(١)]

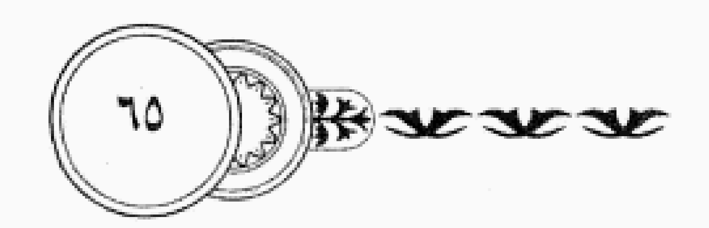
ففي هذه الآيات توجيه إلى تصحيح العقيدة والعبادة بالتوحيد وعدم الإشراك، وفيها تهذيب السلوك، وفيها أداء الواجب نحو المجتمع، لنشر المعرفة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في صبر وعزم وتحمل وترقب وأمل، وفيها أمر بالتواضع، والوفاء، والأدب، والحياء.

ففي هذه الآيات وصايا كاملة متكاملة يجب بسطها وإيضاحها وعرضها على الشباب وتوجيهه في كل جيل وعصر.

ومع إيضاح السلوك المستقيم في الفكر والعمل والخلق كمكونات للشباب، يكون بيان مفهوم الدين طلبا لإبراز توافقه مع الحقائق العلمية، إذ الدين والعلم متكاملان غير متناقضين، فإذا ما انكشفت للشباب حقيقة الدين وترابط العقيدة والأخلاق والسلوك مع العمل حتى ترتبط به نفوسهم منذ نشأتهم سلوكا قويما مستقيما، هادفا ملتزما، وينشأ الشباب محبا للفضيلة من أعماقه عازفا عن

---

(١) الآيات من ١٣: ١٩ من سورة لقمان.



الرذيلة، مبغضًا لها، إذا فعلنا ذلك سلم بناء الشباب واستقام، واعتز بدينه وبذاته وبوطنه، وباعد بين نفسه وبين الانحراف.

ولاسبيل للإنقاذ إلا ما أرشد إليه القرآن في قول الله سبحانه وتعالى:

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾[1]

فالمرجع المغني هو كتاب الله المنقذ من الضلال به تستقيم أمور الحياة، ويعرف كل من الفرد والجماعة واجباته وحقوقه، إذا أَحْسَنَّا تلاوته وفهمه وتدبر آياته، واتبعنا طريقه كنا من المهتدين.

---

(١) الآية ١٦٤ من سورة آل عمران.

الطفل في الإسلام

عني الإسلام بالأسرة، ففصل الله الكثير من أحكامها في القرآن الكريم وأوضحها رسول الله ﷺ في سنته وسيرته قولاً وعملاً وتقريراً.

لقد حث الإسلام على تكوين الأسرة بالزواج وحرم الاختلاط غير المشروع بين الرجل والمرأة، فهذا قول الرسول الكريم: «النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني»[١] وقوله: «تناكحوا تكاثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة».[٢]

فالإسلام لا يدعو إلى الزواج والإنجاب فحسب، بل يجعل للحياة الأسرية معنى ساميا، لأنها الوسيلة إلى عمارة هذه الحياة باعتبار أن الله سبحانه قد استخلف الإنسان في الأرض، يعمرها بعبادة ربه، وبالعمل لسعادته الذاتية.

وإنجاب الأطفال وتربيتهم يدعو إليه الإسلام لعدة مقاصد:

المقصد الأول:

أن الأطفال الذين ينشأون في ظل المبادىء الإسلامية لاشك يحملون - مستقبلا - عبء نشر وتخليد رسالة الإسلام التي جاءت لخير الإنسان وإرشاده إلى الصورة الطيبة للحياة الجديرة بأن يعيش فيها.. نجد ذلك فيما حكاه الله في القرآن من دعاء نبيه إبراهيم عليه السلام:

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[٣]

---

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) أخرجه البيهقي وابن مردويه وعبدالرزاق.

(٣) الآية ١٠٠ من سورة الصافات.

ودعاء عباد الرحمن:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾[1]

والأطفال مع هذا من زينة الحياة:

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾[2]

والزينة ما يتزين به، ولا يكون الأطفال زينة بهذا المعنى إلا إذا أخذوا حظهم من الرعاية الأسرية، فنشأوا في ظل أحكام الله. علماً وخلقًا وسلوكًا، حتى صاروا كالثوب النظيف النقي الذي يتزين به ويتنافس عليه الناس.

المقصد الثاني:

أن خلق الإنسان وتوالده من أقوى الأدلة على قدرة الله، وهذه السعادة التي تغمر الوالدين بولادة طفل لهما منحة عظمى من الله الرحمن الرحيم. وفي التذكير بهذه المنحة والنعمة يقول الله:

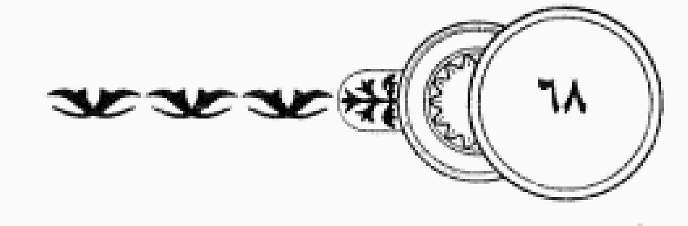
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾[3]

---

(١) الآية ٧٤ من سورة الفرقان.

(٢) الآية ٤٦ من سورة الكهف.

(٣) الآية ٥٤ من سورة الفرقان.



المقصد الثالث:

أن الأسرة هي الوحدة الأساسية للمجتمع الإنساني فهي المدرسة الأولى للتدين وللسلوك الأخلاقي السوي؛ حيث يشب الطفل مرتبطا بوالديه يملأ قلبه حبهما واحترامهما ويتطور هذا إلى احترام الغير، ثم إلى إحساس أعم باحترام كل من يسدي إليه جميلاً في مستقبل الحياة.

وكانت حماية الإسلام الطفولة ـ باعتبارها امتداداً للإنسانية ـ حماية مطلقة فلم يبح الإسلام لأحد قتل الإنسان أياً كان سنه، وحارب ما كان عليه المجتمع الإنساني من قتل الأطفال تخلصا من الأعباء، كما حارب وأد البنات فقال في القرآن:

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ ﴾[1]

وقال:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ۝٣١ ﴾[2]

وفي آية أخرى:

﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝١٥١ ﴾[3]

---

(١) الآيتان ٨ و٩ من سورة التكوير.
(٢) الآية ٣١ من سورة الإسراء.
(٣) الآية ١٥١ من سورة الأنعام.

والقتل كما يكون حسيًّا بإزهاق الروح بفعل إيجابي، يكون كذلك بفعل سلبي كالامتناع عن إطعامه وكسائه وعلاجه عند المرض، بل ويكون بإهمال تعليمه وإحسان تأديبه وتوجيهه إلى أمور الدين والدنيا.

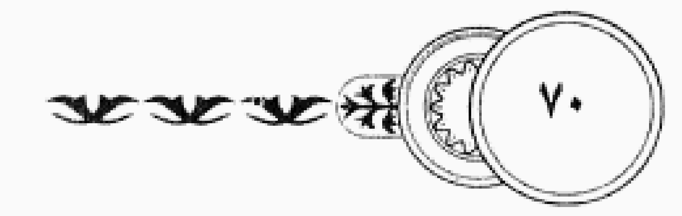
ولعل تحريم الزنا في الإسلام والعقاب عليه بالعقوبة الصارمة قد استهدف أموراً هامةً منها حماية الطفولة، لأن الطفل الذي تلده أم غير متزوجة ينشأ محروماً من حسن الرعاية والعناية والتهذيب.

والإسلام قد رعى الطفل وحدد حقوقه وألزم كلاً من والديه بقدر من هذه الحقوق، نجد هذا في قول الله سبحانه:

﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣) ﴾[1]

فالأزواج مسئولون عن إطعام وكسوة الأم وولدها، وكل ما تقوم به حياتهما صحيحة، زاهرة، ومن مسئولية الأمهات الإرضاع، ولعل عبارة الآية الكريمة: (والوالدات يرضعن أولادهن) تشير في وضوح إلى أهمية أن ترضع الأم وليدها

(١) الآية ٢٣٣ من سورة البقرة.



من ثديها اللبن الذي خلقه الله في جسدها غذاءً ودواءً وشفاءً لهذا الطفل، إذ إن في هذا - فضلا عن المزايا الاقتصادية كما قال أهل الاختصاص - مزايا عديدة لذات الأم وللطفل، حيث تنظم الرضاعة الطبيعية فترات الحمل وتحمي نفسها مع هذا من أمراض خطيرة، وتنمي العلاقة بين الأم والطفل إذ الأم التي ترضع تتاح لها فرص العناية بولدها أكثر من تلك التي لا تباشر الرضاعة، ولقد تحدث أهل الاختصاص في المقارنة بين الرضاعة الطبيعية والصناعية بما يدعو الأمهات والآباء إلى الامتثال لقول العليم الحكيم (والوالدات يرضعن أولادهن) وإلى الحرص على أداء هذا الواجب بأنفسهن.

واذا كان منوطًا بالأم الرضاعة والقيام على شئون الطفل وتربيته ومنوطًا بالأب الإنفاق كما تشير تلك الآية الكريمة فإن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، قد أرشد إلى حقوق أخرى على الوالد حين سئل عن ذلك فقال: «نعم: حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وألا يرزقه إلا طيبا»[1].

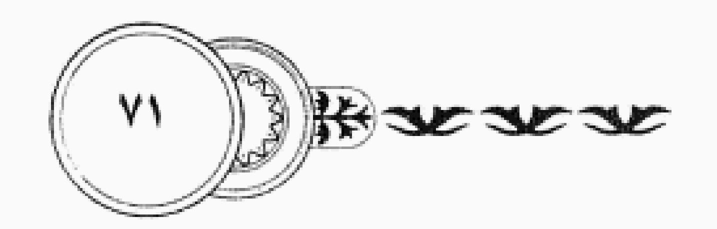
تلك عناوين لواجبات كثيرة حملها الإسلام الآباء، ولنقرأ مثلاً قول الله في قصة لقمان وتأديبه ولده:

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾[2]

فواجب ولي أمر الطفل المسلم سواء كان الأب أو الأم أو الجد أو الأخ أو العم أن يرعاه لينشأ على أخلاق الإسلام وآدابه وعباداته، حتى يعلمه كيف يجلس

---

(١) أخرجه الحاكم والبيهقي.
(٢) الآية ١٨ من سورة لقمان.



وكيف يأكل، مع قدر من الحب والحنان الحازم، ولقد نقل عن رسول الله ﷺ أنه كان يحمل أطفال بناته ويداعبهم، بل وأطفال المسلمين الذين يلقاهم. كما نقل أنه نبه أحد الصغار الذين كان يؤاكلهم بقوله: «يا غلام سم الله وكل بيمينك، وكل مما يليك».(١)

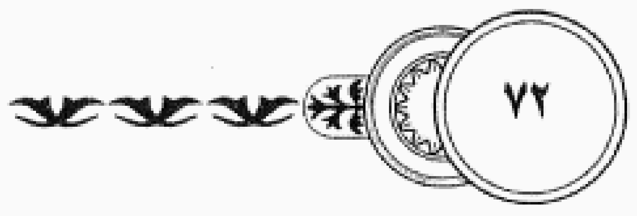
ولقد عُني الإسلام بتربية الطفل حتى ينشأ سليمًا قويًا في بدنه ونفسه، وقد أرشد رسول الله ﷺ إلى ذلك في قوله: «مروا أولادكم بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر بيد لا بخشبة»(٢).

والصلاة عبادة تسبقها طهارة هي الوضوء أو الغسل، ففيها العبادة التي يعتادها الطفل منذ سن السابعة وفيها النظافة والعناية بالجسد في هذه السن، ولقد تواردت نصوص الإسلام التي تحث على إحسان تربية الطفل والعناية به، تربية جسدية ونفسية وروحية من هذا قول الرسول: «أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم»(٣) وقوله: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا»(٤) وقوله: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»(٥). ولقد كان الأطفال يغدون إلى المسجد في عهد رسول الله ﷺ يستمعون إليه، ويتعلمون منه، ويتسابقون إلى الأخذ منه.

إن تربية الطفل المسلم يجب أن تربط بين العقيدة وعلوم الحياة لينشأ فردا صالحا، يحقق ما ينادي به الإسلام من خير عام وعدل شامل ومساواة وتكافؤ فرص. فالتربية الإسلامية تخلق الترابط بين الدين والحياة وتضبط الفكر وتحض

---

(١) رواه مسلم والبخاري وابن ماجه.
(٢) رواه أحمد وأبو داود.
(٣) رواه ابن ماجه.
(٤) أخرجه الترمذي وأحمد.
(٥) أخرجه الطبراني والبخاري ومسلم عن النعمان بن بشير.



على العمل والإنتاج بقواعد السلوك القويم للفرد والجماعة، وتسهم في تحقيق الرخاء للإنسانية.

إن الإسلام حمل الوالدين مسئوليةً كبرى حين عهد إليهما بتنشئة أطفالهما منذ ولادتهم وحتى يتحملوا مسئوليتهم في الحياة راشدين، مسلمين ينتقل الرشد من جيل إلى جيل، ذلك لأن الطفل يولد ولديه الاستعداد ليكون مواطنًا صالحًا، ويتمثل ذلك فيما قال الرسول الكريم «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[1].

ولا شك أن للقيم الإسلامية الصحيحة أثرًا بعيدًا في تربية الطفل إذا تلقاها في الأسرة، وفي المدرسة على حد سواء.

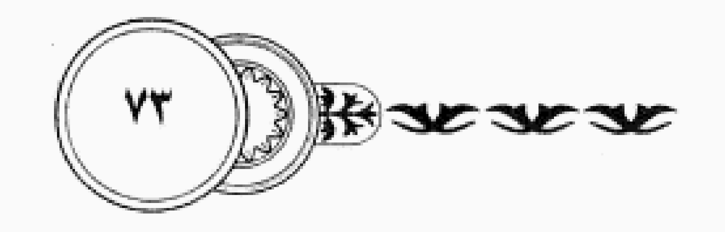
ومن المأثورات في بيان مدى المسئولية عن تربية الطفل في الإسلام: لاعبه سبعا، وأدبه سبعا، ثم اترك حبله على غاربه. فهذا إيضاح لمراحل التربية والمسئولية عن الأولاد، وقد قسم الله أعباءها بين الوالدين باعتبار أن تربية الأولاد من الأمانات التي أمر الله بأداءها والقيام بحقوقها في قوله:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾[2]

إننا نعنى بتوريث أولادنا الأموال مع أن الإسلام يحثنا على أن نورثهم الدين والتربية الصالحة فلنجمع بين الحسنيين ولنؤد الأمانة كاملةً.

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.
(٢) الآية ٥٨ من سورة النساء.





عناية الإسلام بالطفل

حث الإسلام على الزواج فقال الله تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[١]

كما حث الإسلام على تكوين الأسرة بالزواج فقال رسول الله ﷺ فيما رواه أحمد: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة».

ذلك أن في الزواج والإنجاب عمارة هذه الحياة باعتبار أن الله سبحانه قد استخلف الإنسان في الأرض يعمرها بعبادة ربه، وبالعمل لسعادته الذاتية، وسعادة مجتمعه الذي يعيش فيه. ولأن الأطفال هم عدة المستقبل وصناع الغد وأمل الأمم والشعوب، عني الإسلام بهم عنايةً خاصةً إذ حث على حسن الاختيار لكل من الزوجين حتى يتحقق السكن والمودة والرحمة بينهما، وبهذا جاءت وصايا الرسول ﷺ حيث قال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه»[٢]، ولقد أحاط الإسلام الأطفال بكل الوسائل التي تنمي قواهم الجسمية والنفسية والخلقية والعقلية، وبما يحسن تنشئتهم، ويعود عليهم وعلى مجتمعهم بالخير والبركة والتقدم في جميع مناحي الحياة اتساقًا مع الكون الذي سخره الله للإنسان.

ولقد حث الإسلام على تربية الأطفال وتنشئتهم في ظل المبادىء الإسلامية حتى يحملوا في المستقبل عبء نشر وتخليد رسالة الإسلام التي جاءت لخير الإنسان.

---

(١) الآية ٢١ من سورة الروم.

(٢) رواه الترمذي.

فهذا دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام فيما حكاه الله في القرآن:

﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[1]

وهذا دعاء عباد الرحمن:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾[2]

والإسلام قد رعى الطفل وحدد حقوقه وألزم كلاً من والديه بقدر من هذه الحقوق. نجد هذا في قول الله سبحانه:

﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾[3]

---

(١) الآية ١٠٠ من سورة الصافات.
(٢) الآية ٧٤ من سورة الفرقان.
(٣) الآية ٢٣٣ من سورة البقرة.



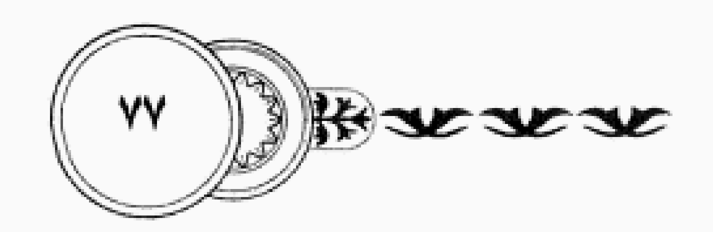
فالأزواج مسئولون عن إطعام وكسوة الأم وولدها، وكل ما تقوم به حياتهما صحيحةً زاهرةً، ومن مسئولية الأمهات الإرضاع والقيام على شئون الطفل وتربيته لينشأ على أخلاق الإسلام وآدابه وعباداته؛ يرشد إلى هذا قول رسول الله ﷺ فيما رواه الحاكم «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع» وأن يعلمه كيف يجلس، وكيف يأكل، مع قدر من الحب والحنان الحازم فقد نقل عن رسول الله ﷺ أنه كان يحمل أطفال بناته ويداعبهم، بل وأطفال المسلمين الذين يلقاهم. كما نقل أنه نبه أحد الصغار الذين كان يؤاكلهم حيث كانت يده تطيش في الصحفة بقوله فيما رواه البخاري ومسلم وغيرهما: «يا غلام سم الله وكل بيمينك، وكل مما يليك».

إن الإسلام حَمَّلَ الوالدين مسئوليةً كبرى، حين عهد إليهما بتنشئة أطفالهما، منذ ولادتهم حتى يتحملوا مسئوليتهم في الحياة راشدين لينتقل الرشد من جيل إلى جيل؛ ذلك لأن الطفل يولد ولديه الاستعداد ليكون مواطنًا صالحًا، يتمثل ذلك فيما قاله الرسول الكريم فيما رواه البخاري ومسلم وغيرهما: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»، أي أنه يكتسب من البيئة التي يعايشها عاداتها وأعرافها ودياناتها وحسناتها وأخطاءها.

إن تربية الأولاد أمانة من الأمانات التي أمر الله بأدائها والقيام بحقوقها في قوله:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾(١)

(١) الآية ٥٨ من سورة النساء.



ولقد عني الإسلام ببث الآداب الاجتماعية وغرسها في نفوس الأطفال وعلى تأصيل الفضائل، وإلى هذا يشير قول الرسول ﷺ: «ما نحل والدٌ ولداً من نحل أفضل من أدب حسن»[1]. ولقد بلغ حرص الرسول ﷺ على رعاية الطفل وأمه أنه يخفف في صلاته إذا سمع بكاء طفل، فيروي البخاري عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه». وإلى جانب هذا فقد حث الإسلام على رعاية اليتامى وتربيتهم وحفظ وتنمية أموالهم، ففي سورة الضحى:

﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ ﴾[2]

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝ ﴾[3]

ويقول رسول الله ﷺ فيما رواه ابن ماجه: «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه».

ومن هذا، يتضح أن الإسلام عني بحفظ حقوق الأيتام وبتمكينهم من حظوظ النجاح في حياتهم كغيرهم من الأطفال.

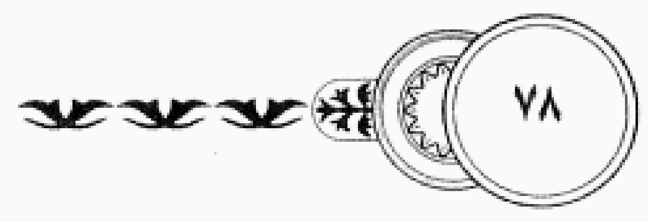
وكما عني الإسلام بالطفل منذ ولادته، عني به من قبل أن يكون حملاً مستكناً في قرار مكين؛ فرتب له كافة حقوق الإنسان الذي يمشي على الأرض. فهو يرث من

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) الآية ٩ من سورة الضحى.

(٣) الآيتان ١ و٢ من سورة الماعون.



انفصل عنها حيًا بعد موتها، وله ذمته المالية، فتصح الهبة والوصية له، ويتحمل في ماله كافة الحقوق التي تجب على الإنسان للغير، كالنفقة لغيره في ماله.

ولقد خفف الإسلام في أحكامه التشريعية رعاية للأم ووليدها، خفف عنها ما تتحمله من مشاق وآلام الحمل وجهد الإرضاع والسهر على الوليد، والقيام على شئونه؛ حيث أباح لها الفطر في شهر رمضان، متى خافت ضررًا على نفسها وولدها أو على نفسها فقط.

إن الحسنات يذهبن السيئات

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «كل سُلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس: تَعْدِلُ بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعَهُ صدقة، والكلمةُ الطيبة صدقة، وبكل خُطوَةٍ تخطوها إلى الصلاة صدقة، وتدل على الطريق صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة».[1]

من باب الحسنات الكثيرة الوفيرة الميسورة هذه الأنواع التي حدثنا عنها رسول الله ﷺ في هذا الحديث حين أرشدنا إلى أن كل سلامى - أي كل جزء من أجزاء جسد المسلم - عليه صدقة تفديه من الشر، أو أن كل مسلم عليه صدقة كل يوم: «كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس...»، ثم أبان الحديث الشريف أن باب الحسنات والثواب عليها مفتوح، فكل ما يفعله المسلم خالصًا محتسبًا لوجه الله، فإن الله الرحمن الرحيم يقبله ويثيبه عليه، وهناك أنواع من الأعمال التي قَدْ لاَ يُلْقِي لها المُسْلِمُ بَالاً حينَ يُؤَدِّيهاَ، ولكنها عند الله عظيمة كبيرة الأجر والمثوبة فقال: «...تَعدِلُ بين الاثنين صدقة...»، وهذه لهؤلاء الذين وَكَلَ الله إليهم الحكم بين الناس، إذ هذه مهمة تترتب عليها صلاح الناس، فإنَّ رَدَّ الحقوق لأربابها وإنصَافَ المظلوم من الظالم كُلُّ أولئك له أجر كبير عند الله سبحانه، «... وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة...»، وهذه دعوة إلى التعاون والتساند والتراحم، فالله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه. فإذا رأيت أحد المسنين أو المرضى فعاونه على أمره، ولا تُزَاحِمْهُ في الصعود إلى السيارة أو في النزول منها، بل أَفسِحْ له الطريق ويَسِّرْ له

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد في مسنده.

أمره، فهو في حاجة إلى عونك، وإذا رأيت من هو في حاجة إلى المعونة وأنت قادر على أدائها فقدمها إليه. فإن فعلت، كانت لك عند الله صدقةً، عليها مثوبة يضاعفها الله إلى ما شاء من حسنات، «... والكلمة الطيبة صدقة...»، أيُّ كَلِمَةٍ تُصلِحُ بها بين المتخاصمين، أو تهدي بها الضَّالَّ، أوَ تبين بها حكم الله في أمرٍ من أمور الحياة لك بها صدقة، أي أن الله يثيبك عليها، كما يثيب على الصدقات الخالصة لوجهه، «... وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»، حتى وأنت تمشي إلى الطاعة، تثاب على هذا المشي فوق المثوبة على الصلاة ذاتها، وحين تَرفَعُ أيَّة عوائقَ في طريق الناس الذي يسلكونه لك بهذا صدقة، فَمَاَ بالُنَاَ نُلْقِي في الطرقات ما يؤذي السائرين، ونُعْرِضُ عن ثواب الله ومرضاته، ونحقر هذه الأعمال الضارة بالمجتمع؟

وفي هذا الحديث الشريف نماذج من الخير حثنا عليها رسول الله ﷺ، ولفت الأنظار إليها، منبهًا إلى أن فعل الخيرات ليس محصورًا في بذل الأموال والتصدق بها قضاءً لحوائج الناس إليها، وإنما هناك من الأعمال التي قد يحقرها المسلم ويعرض عنها في حين أن لها عند الله أجرًا كبيرًا، لايقل عن أجر الصدقة وبذل المال في سبيل الله خالصًا ابتغاء مرضاته.

السرف والترف والاقتصاد

تتنوع أغراض الناس في جمع المال، وتتفاوت مقاصدهم وأهدافهم في الحصول عليه.

المال ممدوح ومذموم باعتبارين متفاوتين، فكلما كان جمعه من حلال طيب ولقصد شريف، كان المال ممدوحًا، وإن كان قد جمع من حرام، كان مآله إلى الحرام، وكان وباله على صاحبه في الدين والدنيا، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ (1)

وقال:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ (2)

والمال عصب هذه الحياة وسند التصرفات فيها. ومن هنا كان حث الإسلام على التنويه بطرق الكسب الحلال والحث على أن يكون طيبًا، بعيدًا عن المحرمات وكان كذلك حرص الإسلام على التوجيه إلى حسن الإنفاق بعيدا عن السرف والترف والتقتير.

---

(1) الآية ٥١ من سورة المؤمنون.

(2) الآية ١٧٢ من سورة البقرة.

والسرف أو الإسراف في المال أو غيره، هو مجاوزة حد الاعتدال الوسط، فالسرف في المأكل مجانبة الحد الوسط، والأكول الشره عرضة للأمراض والأوجاع، والمقل من الأكل عرضة كذلك لأمراض الضعف والهزال.

والسرف في الأموال مجانبة حد الاعتدال في إنفاقها، فمن يبدد ماله دون روية وتدبير، مسرف متلاف مبذر وهو أخ الشيطان.

ومن ثم، كان توجيه القرآن في قول الله تعالى في سورة الاسراء:

﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾[1]

والإسراف المنهي عنه هو الإسراف أو التبذير بمعنى صرف المال في وجه غير مشروع. ويشير القرآن الكريم في سورة الإسراء إلى القاعدة المثلى لإنفاق المال:

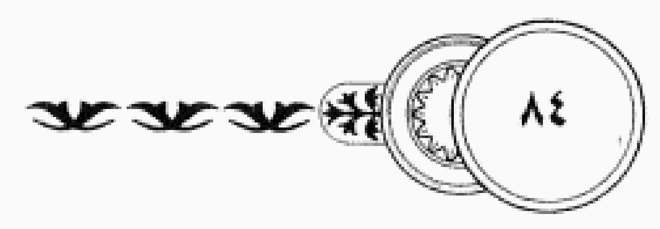
﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾[2]

حيث تدل هذه الآية على المذهب الوسط في الإنفاق، وهي مع هذا تنهى عن البخل والتضييق في الإنفاق على النفس والأهل وأصحاب الحقوق، كما تنهى عن التبذير لمجرد التبذير أو بقصد المباهاة والتظاهر طلباً للمدح والثناء من الناس أو للغلبة والتكبر والجبروت والاستعداء على حقوق الناس.

أما الإسراف في الخير بمعنى الإنفاق على المشروعات الخيرية الاجتماعية تيسيراً لانتفاع الناس، فهذا أمرٌ محمود في ذاته، وقد سئل ابن عباس رضي الله

(١) الآية ٢٧ من سورة الإسراء.

(٢) الآية ٢٩ من سورة الإسراء.



عنهما، عن الرجل ينفق أمواله في الخير، فأجاب بما ذهب مثلاً فقال: لا سرف في الخير. فلا سرف إذا خرج الإنسان عن بعض أمواله في سبيل الله وصيةً أو وقفًا حدد مصارفه أو أقام مدرسةً أو معهدًا أو مستشفى يتعلم أو يتداوى فيه الناس أو شارك في معروف كإغاثة من هدمت مساكنهم أو هلكت مواردهم.

والسرف يجر حتمًا إلى الترف، وهو من عوامل الانهيار الأخلاقي للفرد والمجتمع.

الترف والسرف خلقٌ مذموم يهدم كيان الأمة، ولنستمع قول الله سبحانه في سورة الإسراء في هذا الوباء الاجتماعي:

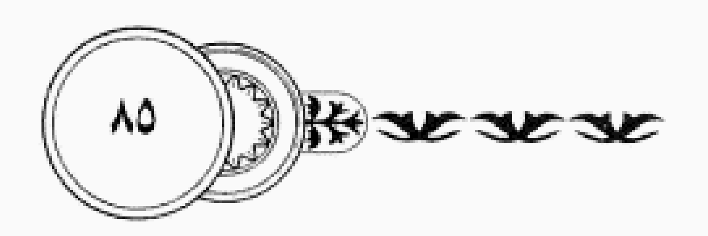
﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾[1]

والإسراف مع سوئه وسيئاته أقل خطرًا من الترف، فالمسرف قد ينفق كثيرًا في الخير، وقد لا يقبل على الادخار لغده، وهو يرى المحتاجين إلى الغوث وإلى الدواء فينفق في هذا السبيل مرضاة لله، أما الترف فهو شر مستطير يوهن صاحبه ويضر به وبالمجتمع الذي يعايشه، وهو مبذر دائمًا وأناني مفرط لا يرى في الحياة سوى التلف والترف.

وما أكثر هؤلاء في المجتمع المعاصر. وكلهم إصرار على الإضرار بهذا المجتمع. فهم المحرضون بفعالهم على اشتعال الأسعار وازدياد الغلاء إذ يحرص المترفون على حيازة كل شيء خشية النفاد، وبذلك تقل أو تشح الحاجيات من الأسواق ويجري التسابق على جمعها واكتنازها.

---

(١) الآية ١٦ من سورة الإسراء.



إن السرف والترف في تقارب معنييهما من الأمراض الاجتماعية المعدية التي تتفشى بالتقليد والمحاكاة، لذلك كان الضرر اجتماعيًا أكثر منه فرديًا، ومن ثم كان ذم الإسلام الترف والتحذير منه، باعتباره إهمالاً للمستقبل وغفلة عن أن النعم لا تدوم.

وما أجمل أن نتدبر ذلك الحوار الذي جاء في سورة الكهف بين الغني المترف والفقير الصابر، حيث دخل المترف جنته وهو ظالم لنفسه فتحدث بما لا يملك له بقاءً قائلاً:

((مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا))(١)

فشغله ترفه عن الذكر والفكر في مصيره في الدنيا ويوم الدين، فيستمر في غروره ويقول:

((وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً))(٢)

ويتطاول الغرور به ويمتد حتى يؤمن أنه سيكون مترفًا في الآخرة فيقول:

((وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا))(٣)

ولننظر رد صاحبه في الحوار، ذلك المؤمن الصابر فينصحه قائلاً:

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝ ﴾(٤)

---

(١) من الآية ٣٥ من سورة الكهف.
(٢) من الآية ٣٦ من سورة الكهف.
(٣) من الآية ٣٦ من سورة الكهف.
(٤) الآية ٣٩ من سورة الكهف.



ينزل وعيد الله بذلك المترف المغرور الجاحد نعمة الله عليه كمثل ذلك القائل: "إنما أوتيته على علم عندي".

فكان جزاؤه في الدنيا ما جاء في سورة القصص:

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾[1]

وكان جزاء المترف الذي تحدثت عنه سورة الكهف أن دفع ثمن غروره وإهماله شكر المنعم الوهاب ووقع به البأس والنحس بعد أن زالت عنه النعمة:

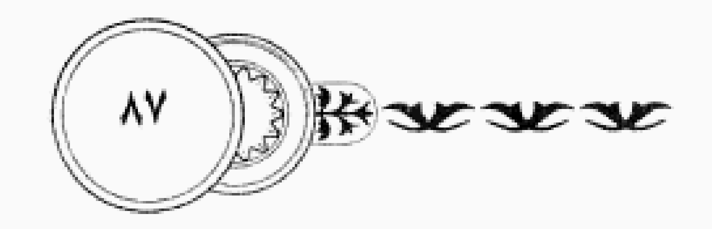
﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾[2]

فلنحذر السرف والترف، ولنعرف أن المال كل المال نعمة موهوبة من الله سبحانه ولنحافظ على أن ننميه حلالاً طيباً، وننفق منه عدلاً وسطاً بلا سرف ولا ترف ولا تقتير. ولنقاوم الغلاء ولنكف عن محاكاة المسرفين والمترفين، ولنحاول الاستغناء عما غلا سعره وقل عرضه، ولنستبدل به ما هو ميسور مقدور، سواء كان هذا في نوعيات الأطعمة والخضروات أو غيرها مما يكثر استعماله واستهلاكه. وتلك سنة الإسلام في مواجهة الأزمات والتغلب على نواقص الحاجات، حتى يتحرر الناس من العادات التي تسيطر على مجريات حياتهم والتي قد تدفع بهم إلى التهلكة، وليتغلبوا على ما اعتادوه بالاعتياض بغيره عند فقده أو تعذره أو

---

(١) الآية ٨١ من سورة القصص.

(٢) الآية ٤٢ من سورة الكهف.

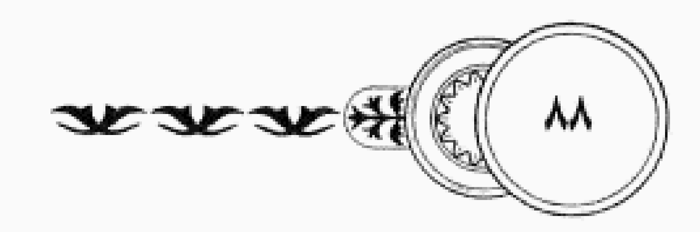


ارتفاع أسعاره، ولنؤمن أن الضروريات أولى وأحق من الكماليات وأن الاقتصاد نصف المعيشة.

ولقد امتدح رسول الله ﷺ الاقتصاد فيما رواه الترمذي قال: «السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءًا من النبوة». ومعناه أن هذه الخصال من شمائل أهل النبوة، فينبغي الاقتداء بهم فيها، والمقتصد دائما عزيز الجانب كريم النفس، لايذل لحاجة ولا تضطره الشهوات إلى الملق والنفاق ولا يسوقه السرف في المأكل والمشرب والمسكن وغيرها إلى الصغار، واقتراض الحرام وتضييع الكرامة، والمجتمع الرشيد هو الذي يحرص على الاقتصاد والبعد عن الاكتناز للأشياء:

((وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ))[1]

(١) من الآيتين ٢ و٣ من سورة الطلاق.



آداب البيع والشراء

وضعت الشريعة الإسلامية للبيع والشراء آدابًا ينبغي مراعاتها، وحرمت الغش والاستغلال تحريمًا قاطعًا.

فللإنسان في حياته جانبان: جانب مادي أساسه المعاملات، وجانب روحي أساسه العبادات.

والجانب المادي يقضي أن يحصل الإنسان على مأكله ومشربه وملبسه، والجانب الروحي يقضي أن يهذب نفسه ويطهر قلبه، وأن يتقرب إلى الله عن طريق عبادته وامتثال أوامره.

وفي الجانب المادي متسعٌ للشهوات والمنافسات، والاستكثار والتكاثر اعتبارات قد ينزلق بها الإنسان عن مستوى الفضيلة وتبعده عن رحمة الله ورضاه. لذلك، جاء الإسلام بالإرشاد إلى أدب البيع والشراء ليقي الإنسان شر ذلك الانزلاق.

فقد حث الإسلام على البيع والشراء، ورغب فيه تحصيلاً للرزق، ووضع آدابًا حتَّم رعايتها في هذه المعاملة - التي تعتبر أساسًا لقضاء المصالح وتوفير الحاجات - على وجه يسلم فيه الإنسان من الغش والخديعة والتضليل، وما إلى ذلك مما يدنس نفسه ويصرفه عن جانب الروح التي تتحقق بها إنسانيته الفاضلة، ويسمو إلى درجة المقربين عند الله.

ومطالب الحياة كثيرة ومتنوعة، ظهرت في صور مختلفة، وأنواع من المعاملات متبيانة، ولكن أساسها الذي تبنى عليه ومحورها الذي تدور حوله هو البيع والشراء، فالزارع لا بد له من البيع والشراء، وكل عامل يبيع ويشتري، حتى الموظف في ديوانه، والمدرس في درسه، والواعظ في وعظه، والمجاهد في ميدانه،

والحاكم في حكمه، كل هؤلاء يبيعون ويشترون، يبذلون العمل، ويتسلمون البدل. فمن أخلص في عمله، وقدمه على الوجه الذي يحقق الغرض المقصود منه، ويرضى به ربه، كان ما يتقاضاه في مقابل العمل محفوفًا بالخير والبركة، مثمرًا في نفسه وأسرته، وكان هو محل ثقة عند من يعامله، فتعظم مكانته في النفوس، ويقبل الناس عليه، ويزداد خيره.

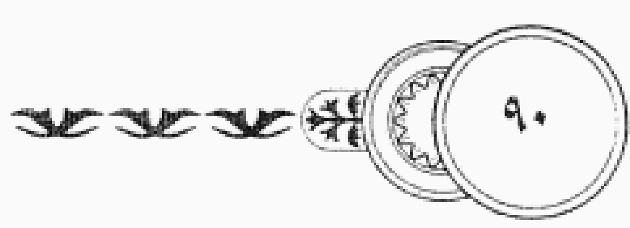
أما من أساء في عمله، وخدع وغش، وجعل همه أخذ البدل، واستيفاء الثمن على الوجه الذي يرضي شهوته غير مكترث بالمصلحة العامة ومصالح المسلمين، وغير مقدر لغضب الله وسخطه، كان فيما يتقاضاه من الذين يأكلون في بطونهم نارًا، وسيصلون سعيرًا، فتسوء سمعته وينبذه الجميع.

مر النبي ﷺ برجل يبيع الطعام، فأعجبه ظاهره، فأدخل يده فيه فوجد به بللا، فقال: «ماهذا يا صاحب الطعام؟» قال: أصابته السماء. أي نزل عليه المطر، فقال ﷺ: «أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟ من غشنا فليس منا»[1].

هذا حكم عام حكم به الرسول ﷺ على من غش، وخدع في الطعام، بخروجه عن جماعة المؤمنين. فالإيمان يقتضي الصدق، ويقتضي التقوى، ويقتضي الإخلاص، والغش يقوض كل ذلك.

ومن آداب البيع والشراء أن يأخذ كلٌّ من البائع والمشتري حقه غير منقوص، فانتقاص الحقوق أساس لزعزعة الثقة في المجتمع وسبيلٌ إلى قطع الصلات، وإثارة الأحقاد والبغضاء بين الناس، فينتشر الفساد في الأرض وتضييع المصالح، ولذلك بعث الله رسوله شعيب عليه السلام يدعو الناس أولاً إلى التوحيد، ويتبعه بالنهي والتحذير عن نقص الكيل والميزان، معتبراً ذلك إفساداً في الأرض بعد إصلاحها:

(١) رواه مسلم.



﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[1]

فالإسلام يهدف من ذلك إلى اقتلاع الخلق الذي يدفع الإنسان إلى انتقاص الحقوق.

ومن آداب البيع والشراء عدم التطفيف في الميزان يقول الله سبحانه:

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[2]

وقد نهى رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه عن النجش، وهو أن يزيد الرجل في السلعة أكثر من ثمنها، وليس قصده أن يشتريها، بل يغر غيره ليوقعه فيها.

والإسلام يرفع من شأن التاجر والبائع الصادق الأمين فيقول رسول الله ﷺ: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء»[3]، وفي الحديث الشريف يقول رسول الله ﷺ: «رحم الله رجلاً سمحًا إذا باع وإذا اشترى، وإذا اقتضى».[4]

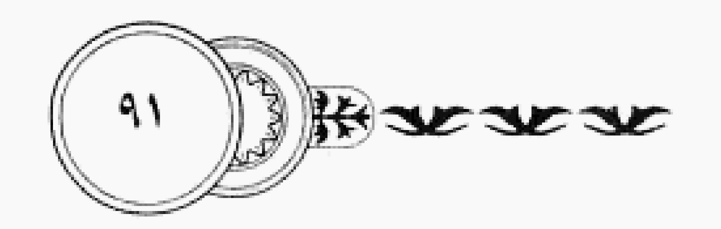
---

(١) الآية ٨٥ من سورة الأعراف.

(٢) الآيات من ١:٣ من سورة المطففين.

(٣) أخرجه الترمذي والحاكم.

(٤) رواه البخاري.



على هذه الأسس التي تقتضيها الأخوة والتراحم والتعاون انتهج الإسلام هذا النهج القويم في التعامل بين الناس بالبيع والشراء حتى يكون المجتمع المسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا. وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله عز وجل في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عز وجل عنه بها كربة من كرب القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»[1].

ومن هنا حرم الإسلام الربا في قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾[2]

---

(١) رواه أحمد.

(٢) الآية ٢٧٥ من سورة البقرة.

الاحتكار فيه الضر والضرار

الاحتكار اختزان الطعام وغيره مما فيه حاجة للناس قصداً إلى إغلاء الأسعار. ومن طرق المحتكرين العمد إلى شراء ما في الأسواق مما يحتاجه في معاشهم من طعام ولباس وأدوات صناعة ووقود وأدوية وبذور زراعة، يفعلون هذا قصداً إلى حجب الشيء عن الأسواق، فيقل المعروض وتكثر حاجة الناس إليها، فيرتفع سعرها.

والاحتكار جريمة اجتماعية مذمومة وظلم يتعرض به صاحبه لسخط الله ولعنته ولكراهية الناس ومقتهم.

والمحتكر مردودٌ عمله الصالح مادام مصراً على ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء، فلا يقبل الله له عملاً.

ففي الحديث الذي رواه الديلمي وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «من احتكر الطعام أربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة له».

وفي رواية أحمد والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما: «من احتكر الطعام أربعين يومًا فقد برئ من الله وبرئ الله منه»، وبراءة الله من المحتكر أنه لا يحبه ولا يتولاه ولا يؤيده، فهو مخذول شقي، وقد قيل إن المحتكر كأنما قتل الناس جميعًا. وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «من احتكر طعاما فهو خاطئ» أي آثم، والمحتكر قد قسا قلبه وخبثت نفسه، ففي المأثور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من احتكر الطعام أربعين يومًا قسا قلبه. وعنه أيضا أنه أحرق طعام محتكر بالنار.

وروى ابن ماجه عن عمر رضي الله عنه مرفوعًا: «من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس».

وروى ابن ماجه عن عمر أيضًا قول الرسول ﷺ: «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون» أي مطرود من رحمة الله، أما الجالب - أي الذي يأتي بالأشياء التي يحتاجها الناس ويعرضها في أسواقهم - فإن رزقه ميسر له. والملحوظ أنه حين يكثر الطلب على شيء ما مما يحتاجه الناس، فإن بعض التجار يعمد إلى جمع ما في الأسواق ويحجبه حتى يكثر الطلب عليه ويزداد سعره. ومن يفعل هذا من التجار هو الذي جاء في شأنه قول الرسول ﷺ الذي رواه أحمد: «من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم، كان حقًا على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة»، أي بمكان عظيم في شدة عذابه لعظم ذنبه.

ولخطورة الاحتكار على حياة المجتمع وأمنه كان لولي الأمر شرعًا أن يأخذ على يد المحتكر من التجار أو الصناع أو غيرهم ممن ينتجون ما يحتاج إليه المجتمع في حياته، وأن يجبرهم على عرض بضاعتهم للبيع بقيمة المثل، دفعًا لضرورات الناس وتيسيرًا لمعاشهم. وكان على ولي الأمر أن يرعى الأسواق وما فيها من مغالبةٍ لأصحاب الضرورات وإضرارٍ بهم، وأن يفرض من العقوبات ما يردع أولئك المحتكرين المستغلين لحاجات الناس الأساسية اللازمة لمعاشهم.

ولقد كان من صنيع رسول الله ﷺ مراقبة الأسواق طلبا للتيسير على الناس، ودفعا لما قد يقع من ظلم أو غش.

وفي الحديث الذي رواه ابن ماجه وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار». ذلك أن الإسلام يحرم على المؤمن أن يكون مصدرًا للشر ويفرض عليه أن يكون من مفاتيح الخير، وأن يكون نظيف الضمير عف اليد واللسان، يقول ﷺ في الحديث الذي رواه ابن ماجه: «إن هذا

الخير خزائن، ولتلك الخزائن مفاتيح، فطوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير مغلاقًا للشر، وويل لعبد جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا للخير».

والإضرار بالمسلمين إثم كبير، بل الذي يضر غيره قد يخرج بفعله هذا من الإسلام، ففي حديث رسول الله ﷺ الذي رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه: «من ضار ضر الله به، ومن شاق شق الله عليه».

ويستفاد من هذا الحديث: أن من أدخل على مسلم مضرةً في ماله أو عرضه أو نفسه بغير حق، ضره الله، أي جازاه من جنس عمله وأدخل الله عليه المضرة قصاصًا في حياته.

والمشاقة أي المنازعة، أي من نازع مسلمًا ظلمًا وتعديًا أنزل الله عليه المشقة فيجعل له معيشة ضنكًا.

وفي الحديث تحذير عن إيذاء المسلمين بأي نوع من أنواع الإيذاء، ومن صور هذا الإيذاء المفزع الاحتكار لحاجيات الناس من طعام ودواء وأدوات للصناعة أو التجارة أو الزراعة.

وفي حبس كل هذا وغيره إضعاف للإنتاج وتعطيل للعمل وللعمال وإضرار بالأمة في اقتصادها، وإهدار لمواردها، وتعطيل لمسار حضارتها، وقعود بها عن اللحاق بعصرها في الاكتفاء بإنتاجها الذي تنافس به غيرها وتجلب بمقتضاه ما تحتاج مما لدى غيرها من الدول. وفي الاحتكار - فضلاً عن الخسائر المادية للأفراد والمجتمع - أضرار نفسية تؤدي إلى اضطراب الناس وانزعاجهم افتقادا لحاجاتهم، وتشيع بسبب الاحتكار الأنانية وتغلب الأثرة، وينزوي الإيثار الذي كان صفة من صفات المسلمين الأولين امتدحهم الله به في القرآن فقال في سورة الحشر:

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1]

والأثر والأنانية يؤديان إلى انفصام عرى المودة والمحبة بين المواطنين، فالاحتكار ليس عملا ماديا ضارا فحسب، ولكن أوزاره ماحِقَةٌ للقيم والمثل العليا التي تَغَيَّاها الإسلام في عقيدته وشريعته، مؤثِّرةٌ على السلام الاجتماعي وأمن الناس على حوائجهم.

ومن ثم، كان حتمًا مواجهة الاحتكار والمحتكرين بكل حزم من أولي الأمر ومن الناس حتى تستقر المعايش، وتستقيم الأمور، ويأمن الناس على توفر أقواتهم وحاجاتهم.

---

(١) الآية ٩ من سورة الحشر.

المؤمن سخي معطاء

الإسلام دين الله الذي ارتضاه لعباده، شرع لهم به عبادته بكل خير يعملونه، تتوثق به علاقاتهم الإنسانية، وتزداد به أواصر المودة والتعاون على البر والتقوى وإعمار هذه الحياة.

ففي سورة البقرة قول الله سبحانه:

﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[1]

وفي سورة النساء قول الله سبحانه:

﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾[2]

---

(١) الآية ١٧٧ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٣٦ من سورة النساء.

فهذه آيات من كتاب الله تحث على الصدقة والتصدق والإحسان والبر بالناس، مبينة صنوفًا من الناس أصحاب الحاجات، مفضلة إياهم في العطاء والسخاء.

ولقد شرع الإسلام مناهج للعطاء والإغاثة دون مَنٍّ أو أذى، فهذه صدقة التطوع، أي تلك التي تنبع من نفس وذات صاحب المال ليس لها مقدار أو وقت محدد من الشرع، وليست هذه الصدقة محصورة في الأموال، وإنما تشمل كل خير يقدم إلى الغير، فإرشاد الضال عن الطريق أو عن الصواب في الرأي صدقة، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة، والعدل في الحكم صدقة، والتبسم في وجه الغير صدقة، وغرس شجرة يستظل بها الناس ويأكلون من ثمارها صدقة، وتعليم علم نافع صدقة، وإعارة الماعون صدقة، وإصلاح ذات البين صدقة.

وقد شرعت صدقة المال التطوعية لأن في المجتمع حالات عوز وحاجة يتعرفها أفراد المجتمع بحكم اطلاعهم على أمورهم وبحكم الجيرة أو القرابة، وإلى مثل هذا يشير الرسول ﷺ في قوله الذي رواه البزار والطبراني: «والله ما آمن والله ما آمن والله ما آمن»، قالوا: من يا رسول الله؟ قال: «من بات شبعانًا وجاره إلى جانبه جائع وهو يعلم». وفي سنن الترمذي: «الصدقة تطفيء الخطيئة، كما يطفيء الماء النار»[1]. وعند ابن حبان: «كل امريء في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس».

وإذا راجعنا ما قرره الإسلام من أساليب للسخاء والعطاء حَثَّ عليها الناس، نجد الزكاة المفروضة في الأموال المتنوعة من زروع وثمار ونقود وعروض تجارة ومعادن، ونجد الكفارات والفدية في شرع الإسلام، فهذه كفارة الأيمان، وتلك كفارة الصوم، وكفار الظهار، والتمتع في الحج، وقتل الصيد في الحج، وفدية الصوم لمن عجز عنه، والفدية في الحج.

---

(١) سنن الترمذي.



سبل وفيرة وقنوات بر كثيرة قررها الإسلام تعاونًا وتساندًا بين الناس حتى لا يكون محتاج، وفي سنة رسول الله ﷺ الكثير الوفير من وصاياه وتوجيهاته إلى السخاء والعطاء، ففي الحديث القدسي المتفق عليه بين أصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: انفق يا بن آدم يُنْفَقْ عليك».

وروى مسلم عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «يابن آدم إنك إن تبذل الفضل - أي مازاد على حاجتك - خير لك، وإن تمسكه شر لك»[1].

وفي سورة البقرة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾[2]

دعوة من الله إلى أصحاب المال أن ينفقوا مما رزقهم الله، وأن ينفقوا من جيد الأموال وحلاله فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا.

وفي سورة آل عمران قول الله:

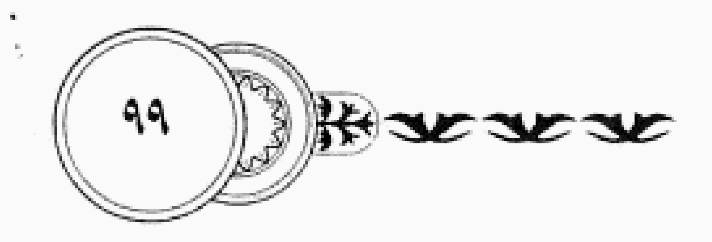
﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٩٢﴾ ﴾[3]

---

(١) صحيح مسلم.

(٢) الآية ٢٦٧ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٩٢ من سورة آل عمران.



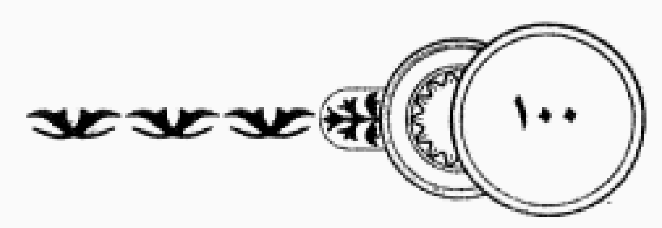
نعم، إن الجود من جود الله تعالى، وإن المال مال الله استخلفكم فيه، فأحسنوا الخلافة وجودوا يمنٌ الله عليكم. ألا إن السخاء شجرة في الجنة أغصانها مدلاة في الأرض، فمن تعلق بغصن منها أدخله الله الجنة. ألا وإن السخاء من الإيمان، والإيمان في الجنة.

قال رسول الله ﷺ: «تجاوزوا عن ذنب السخي فإن الله آخذ بيده إذا عثر». كما نُقِلَ عن النبى ﷺ: «السخي قريب من الله، قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار، ولجاهل سخي أحب إلى الله عز وجل من عابد بخيل»[1].

وصدق الله حين أثنى في القرآن على من جادوا بالطعام مع حاجتهم وحبهم له فقال سبحانه في سورة الإنسان:

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ ﴾[2]

(١) رواه الترمذي.
(٢) الآيات من ٥:١١ من سورة الإنسان.



الإنفاق على الآل والعيال جهاد في سبيل الله

روى الطبراني بسنده عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: مر على النبي ﷺ رجل، فرأى أصحاب النبي ﷺ من جلده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان».

المال وسيلة يستعين بها الإنسان للحصول على حاجاته ومطالبه في هذه الحياة، فبه يطعم، وبه يلبس، وبه يسكن، فهو زينة هذه الحياة كما وصفه الله في قوله تعالى في سورة آل عمران:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾[1]

وفي شأنه قال جل شأنه في سورة الكهف:

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾[2]

---

(١) الآية ١٤ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ٤٦ من سورة الكهف.

فطلب الرزق والسعي إلى تحصيله من باب الجهاد في سبيل الله مادام مقصوداً به حفظ الكرامة وصون العرض وتربية الأولاد تربية صالحة، وصلة ذوي القربى، ومواساة الفقراء والبائسين، والإحسان إلى الجيران والمساهمة به أو بشطر منه في أعمال الخير والبر والاستمتاع بالمباح من الحلال الطيب، دون إسراف ولا تبذير كما قال الله سبحانه في سورة الأعراف:

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[1]

وفي الحديث الذي رواه أبوهريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسألة وسعيا على أهله وتعطفا على جاره بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلبها حراماً مكاثراً بها مفاخرا لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان»[2].

واستثمار المال في الوجوه المشروعة أمر أوجبه الإسلام وحث عليه، فقد ورد أنه: من منع حقا فقد قتر، ومن أعطى في غير حق فقد أسرف. وفي القرآن الكريم في سورة الإسراء:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾[3]

(١) الآية ٣٢ من سورة الأعراف.
(٢) رواه ابن كثير من كلام الجنيد.
(٣) الآية ٢٩ من سورة الإسراء.



أي منقطعًا عن المقاصد والمطالب بإسرافك حتى أصبحت صفر اليدين. ولقد وضع القرآن دستور إنفاق المال، فقال الله في سورة الفرقان في صفات عباد الرحمن:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾[1]

ومن الإسراف أن تأكل كل ما اشتهيت، فقد أثر عن أبي بكر رضي الله عنه قوله: إني لأبغض أهل البيت ينفقون رزق أيام في يوم واحد.

إن مطالب الحياة لا غاية لها، وإن إشباع الحاجات إسراف، وإن علينا أن نواجه ظروفنا الاقتصادية بالإقلال من الإنفاق لاسيما فيما كان ترفًا وسرفًا لا ضرورة له، وخير لنا أن نوجه الأموال إلى الاستثمار المشروع، فنزيد من الإنتاج، وبه يكثر المعروض. ولنستعن بالله ولا نعجز فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، ومواجهة المشاكل ينبغي أن تكون حاسمةً بالاستغناء عما ليس في أيدينا، ودائما يكون النصر مع الصبر والعمل الدائب على الالتزام بشرع الله في كل أعمالنا وصدق وعد الله:

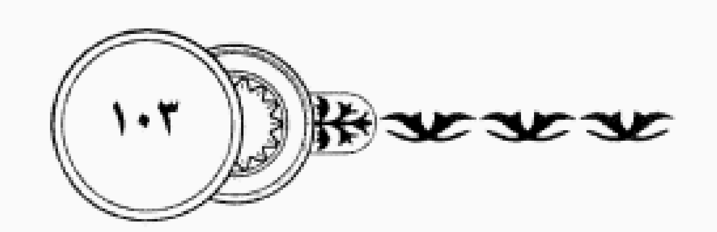
((وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ))[2]

وقد قيل: إن كمال المرء موجود في خلال ثلاث: معاشرة أهل الرأي والفطنة، ومداراة الناس بالمعاشرة الجميلة، والاقتصاد من بخل وإسراف.

---

(١) الآية ٦٧ من سورة الفرقان.

(٢) من الآيتين ٢ و٣ من سورة الطلاق.



وقد علت أصوات تندد وتعزو ما نحن عليه من غلاء وبلاء إلى كثرة العدد، وهؤلاء قد غفلوا عن وصية رسول الله ﷺ في قوله: «ما عال من اقتصد»[(١)]، أي ما افتقر من أنفق على أهله وعياله من غير إسراف ولا تقتير. فعلينا أن نأخذ من الإسلام الحكم والحكمة، ففيه الدواء لأدوائنا والإصلاح لعيوبنا، والجمع لكلمتنا والعزة لأمتنا، فالدَيْن غم بالليل وذل بالنهار، ولنؤمن بأن الرزق ليس مالا فقط، فالصحة رزق، ونبوغ الأولاد وتفوقهم في دراستهم رزق، والزوجة الصالحة رزق، والزوج الصالح رزق:

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾[(٢)]

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[(٣)]

اللهم لك الحمد والشكر، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ووفِّق المسلمين للالتزام بالقرآن وبسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

---

(١) أخرجه أحمد والبيهقي والطبراني.
(٢) الآية ١٨ من سورة النحل.
(٣) الآية ٧ من سورة إبراهيم.

اتقوا الله في الضعفاء

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما[1].

لقد حث الرسول ﷺ أمته في هذا الحديث الشريف على مبدأ التكافل، والقيام على الضعفاء وتدبير أمورهم، ورفع الحرج عنهم، وهذا أدب القرآن الكريم وتوجيهه للرسول ﷺ حين قال الله له:

﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ ﴾[2]

فإن كلا من اليتيم والسائل في حاجة إلى رعاية القادرين الذين أفاء الله عليهم نعمته، وبسط لهم الرزق أيا كان نوعه من مال أوجاه أو صحة. ومن لم يجد ما يحسن به إلى الضعفاء كان عليه الرد الجميل، ولعل في وصايا القرآن الكريم في هاتين الآيتين ما يحفزنا إلى حسن المعاملة مع هذين الصنفين وهما مثل لغيرهما، ودعوة من الله للناس جميعًا ـ وللمسلمين خاصة ـ أن يكونوا رحماء فيما بينهم، يأخذ الصحيح بيد السقيم ويفيض الغني مما آتاه الله على الفقير، فيغيث الملهوف، ويطعم الجائع، ويكسو العاري.

ولعل السائلين يتأدبون بسلوك رسول الله ﷺ وحسن توجيهه لأصحابه على نحو ما جاء به في حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه إذ قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: «ياحكيم، إن هذا المال خضرة حلوة، فمن

---

(١) رواه البخاري.

(٢) الآيتان ٩ و١٠ من سورة الضحى.

أخذه بسخاوة نفسٍ بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفسٍ لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى»، قال حكيم: فقلت يارسول الله: والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك حتى أفارق الدنيا. فكان أبوبكر رضي الله عنه يدعو حكيماً ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئا. ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله، فقال: يا معشر المسلمين، أشهدكم على حكيم أني أعرض عليه حقه الذي قسم الله له في هذا الفيء فأبى أن يأخذه. ولم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد النبي ﷺ حتى توفي[1]. وكلمة (يرزأ) في هذا الحديث معناها لم يأخذ شيئا من أحد، وكلمة (بإشراف نفس) أي تطلع النفس وطمعها وشوقها، وسخاوة النفس ضد هذا المعنى.

فلنتأدب بآداب الرسول ﷺ في الدعوة إلى الخير فلا نرد السائل بالعنف وباللوم وإنما بحسن التوجيه، فهذا الرسول أعطى حكيم بن حزام غير مرة، ثم نصحه، وأبان له مضار السؤال في الدنيا والدين. فعفَّ حتى عن حقوقه في المال الذي أباحه الله له وصَدَقَ الله.

وهذا اليتيم الذي أوصى به الرسول ﷺ في أكثر من موضع من وصاياه إنما هو مثل للضعفاء في هذه الحياة.

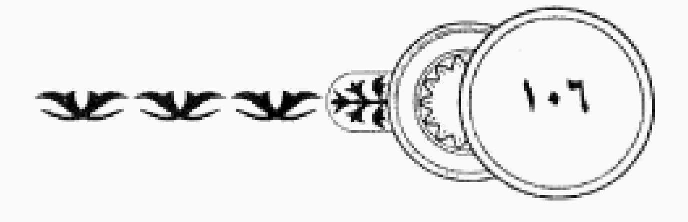
والرسول ﷺ في هذا الحديث وغيره إنما يبين لنا ما جاء في القرآن الكريم من وصايا في شأن اليتيم. فذلك قول الله في شأن مال اليتيم، وإصلاح شأنه:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴾[2]

---

(١) رواه البخاري وغيره.

(٢) الآية ١٠ من سورة النساء.



بل إن القرآن يستثير في الإنسان الغريزة فيذكره بأولاده لو صاروا يتامى بفقده فيقول الله قبل تلك الآية:

﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾[1]

ومع هذا التذكير بحق اليتيم، والتحذير من أكل أمواله، وإهمال شئونه، يأمر الله في القرآن بقواعد المعاملة مع اليتامى فيقول:

﴿ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ ﴾[2]

هذه وصايا من القرآن والسنة تحثنا على رعاية اليتامى، وسائر الضعفاء والمساكين والإحسان إليهم، والشفقة عليهم والتواضع معهم، إذ في هذا تعاون المجتمع وتعاليه بالإنسان.

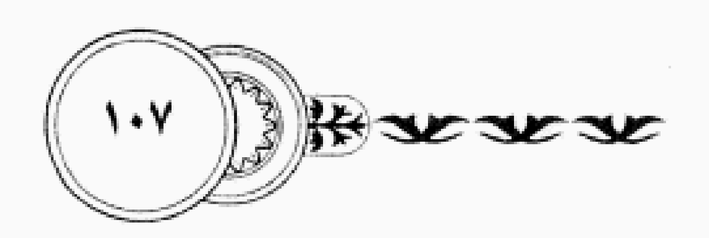
﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ ﴾[3]

---

(١) الآية ٩ من سورة النساء.

(٢) الآية ٢٢٠ من سورة البقرة.

(٣) الآيات من ١:٣ من سورة الماعون.

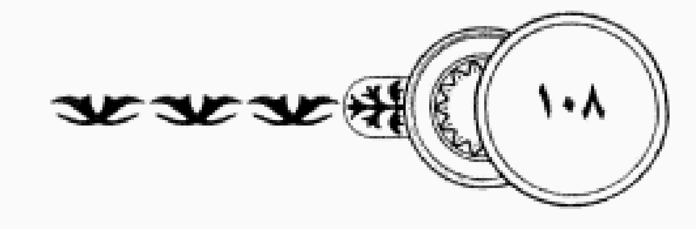


إن في هذا لعبرة وهدى لمن أراد الاستقامة على طريق الله أفرادًا وجماعات. هدانا الله جميعًا إلى ما فيه الخير، ووفقنا لخيري الدين والدنيا.

هذا ولعلنا نستذكر دائما قول رسول الله ﷺ توجيهًا لمن رأى أن له فضلا على من دونه «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم»[1].

وقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبو داود عن أبي الدرداء عويمر رضي الله عنه: «ابغوني في الضعفاء فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم».

(١) رواه البخاري في صحيحه.



الصدق والكذب

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين:

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴾[1]

وروي عن النبي ﷺ أنه قال للحسن بن علي: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الكذب ريبة والصدق طمأنينة»[2].

فقد دعا الإسلام إلى الاستمساك بالصدق في كل شيء وتحريه في كل قضية، والمصير إليه في كل حكم، فكان بناء المجتمع الإسلامي قائماً على محاربة الظنون ونبذ الإشاعات. وقد نعى القرآن على أقوام جريهم وراء الظنون التي ملأت عقولهم بالخرافات وأفسدت حاضرهم ومستقبلهم بالأكاذيب فقال:

﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾[3]

ولقد كان الرسول ﷺ معروفا قبل الرسالة بالصادق الأمين، لما في هذا الخلق من حب للناس وبعد عن مواطن الزلل. ومن هنا قام المجتمع الإسلامي على الصدق باعتباره أفضل الفضائل، ويقول رسول الله ﷺ: «تحروا الصدق وإن رأيتم أن فيه الهلكة، فإن فيه النجاة، وتجنبوا الكذب وإن رأيتم أن فيه النجاة، فإن فيه الهلكة»[4].

---

(١) الآية ١٠٥ من سورة النحل.

(٢) رواه أحمد والترمذي وابن حبان.

(٣) الآية ٢٣ من سورة النجم.

(٤) الترغيب والترهيب للمنذري.

وقال عمر رضي الله عنه: لأن يضعني الصدق، وقلما يضع، أحب إلى من أن يرفعني الكذب، وقلما يفعل.

قال بعض الحكماء: الصدق منجيك وإن خفته، والكذب مرديك وإن أمنته والكذب رذيلة تنبىء عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها. وقد سئل رسول الله ﷺ: أيكون المؤمن جبانًا؟ قال: «نعم»، فقيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: «نعم»، فقيل له: أيكون المؤمن كذابا؟ قال: «لا».(١)

وفي النهي عن الكذب يقول رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة، الشيخ الزاني، والإمام الكذاب، والعائل المزهو».(٢)

والكذب على دين الله من أقبح المنكرات، وأول ذلك نسبة شيء إلى الله أو إلى رسوله لم يقله. قال رسول الله ﷺ: «إن كذبًا عليَّ ليس ككذب على أحد، فمن كذب عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»(٣).

والإسلام يوصي أن تغرس فضيلة الصدق في نفوس الأطفال حتى يشبوا عليها وقد ألفوها في أقوالهم كلها، فعن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي يوما، ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا فقالت: تعال أعطك. فقال لها ﷺ: «ما أردت أن تعطيه؟» قالت: أردت أن أعطية تمرًا. فقال لها: «أما أنك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة»(٤).

فانظر كيف يعلم الرسول ﷺ الأمهات والآباء أن ينشئوا أولادهم تنشئةً يقدمون فيها الصدق ويتنزهون عن الكذب، ولو أنه تجاوز عن هذه الأمور وحسبها من التوافه الهينة لخشي أن يكبر الأطفال وهم يعتبرون الكذب ذنبًا صغيراً وهو عند الله عظيم، فما أجمل أن نتحرى الحق ونصدق في الحديث في كل أمورنا.

(١) رواه مالك والبيهقي.
(٢) رواه البزار.
(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد.
(٤) رواه أبو داود.



تحية الإسلام

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على أمرٍ إذا أنتم فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[1].

فإفشاء السلام سنةٌ مشروعة لتأليف قلوب المؤمنين، وتحية السلام هي أول كلمة دار بها الحوار بين آدم والملائكة، فإنه لما خلقه الله، قال له: اذهب إلى أولئك النفر من الملائكة فسلم عليهم، فاستمع ما يجيبونك به فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال لهم: السلام عليكم. فقالت له الملائكة: وعليك السلام ورحمة الله. وكل سلام منه بعشر حسنات، قال تعالى:

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾[2]

وعن أبي رجاء عن عمران بن حصين أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ قال: السلام عليكم. قال: قال النبي ﷺ: «عشر»، ثم جاء آخر. فقال: السلام عليكم ورحمة الله. فقال النبي ﷺ: «عشرون»، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فقال النبي ﷺ: «ثلاثون»[3].

وفي الصحيحين أنه لما سئل ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «أن تطعم الطعام وتقرىء السلام على من عرفت ومن لم تعرف».

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) الآية ٨٦ من سورة النساء.

(٣) رواه النسائي.

من هذه النصوص الشريفة، يتضح لنا أن تحية الإسلام هي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، يحيّ بها المسلم أخاه المسلم، ذلك أن هذه التحية إذا صدرت دعت القلوب الواعية لها إلى الإقبال عليها وتحصيل ثوابها العظيم وكان أثرها أعظم وهو شيوع السلم بين المسلمين والمحبة الصادقة فيما بينهم، وهذا من أسس الإيمان الذي هو مفتاح الجنة.

فكان علينا نحن المسلمين أن نتمسك بسنة الإسلام في التحية وهي إفشاء السلام التزاما بما ورد عن نبينا محمد ﷺ، وامتثالاً لقول الله تعالى:

((وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟))(١)

ومن آداب السلام: أن يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد، والماشيان أيهما بدأ كان أفضل، وفي إفشاء السلام دليل على التواضع وحث على تآلف القلوب واجتماع الكلمة وطمأنينة النفس والأمان.

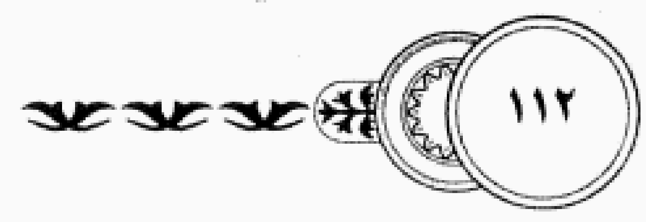
روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «حق المسلم على المسلم خمس، رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس»(٢).

فهذه الخصال الخمس واجبة على كل مسلم، ومن سنن الإسلام التي حث عليها لتأليف القلوب وشيوع المحبة بين المسلمين.

ومن المشاهد أن السلام بين المتباغضين أو المتخاصمين يستل الخصومة ويجعلهما متحابين، ويجب أن نعلم أولادنا تحية الإسلام، ونلقي عليهم السلام حتى نلقي المحبة في قلوبهم، قال الله تعالى:

(١) من الآية ٧ من سورة الحشر.

(٢) رواه البخاري ومسلم.



﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴾ [1]

وقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا التقى الرجلان المسلمان فسلم أحدهما على صاحبه، فإن أحبهما إلى الله أحسنهما بشراً لصاحبه، فإذا تصافحا نزلت عليهما مائة رحمة، وللبادي منهما تسعون، وللمصافح عشرة»[2].

ثم إن كلمة السلام في التحية هي اسم من أسماء الله تعالى، فقد روى ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «السلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه في الأرض فأفشوه بينكم، فإن الرجل المسلم إذا مر بقوم فسلم عليهم، فردوا عليه، كان له عليهم فضل درجة، بتذكيره إياهم السلام، فإن لم يردوا عليه، رد عليه من هو خير منهم»[3].

ومعنى "السلام عليكم" :أنتم في حفظ الله ورعايته، وسلامة الله ملازمة لكم.

والسلام في الإسلام لا يكون بالإشارة باليد، وقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك في قوله: «ليس منا من تشبه بغيرنا. لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وإن تسليم النصارى بالكف»[4].

فإن الإسلام لم يترك جانبا من جوانب الخير إلا ودعا إليه، ولا جانبا من جوانب الشر إلا وحذرنا منه، فما أعظم تعاليم الإسلام التي تأخذ بيَدِ الإنسان المسلم إلى طلاقة الوجه وحسن الإقبال والمعاملة الحسنة، والتعاون على البر والتقوى.

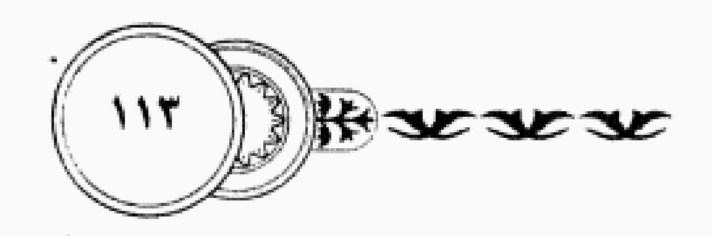
---

(١) الآية ٨٦ من سورة النساء.

(٢) رواه البزار.

(٣) رواه البخاري والبيهقي.

(٤) رواه الترمذي.





حسن الخلق

روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا.

وهذا تقرير واقع، فإن الله تعالى تولى نبيه عليه السلام فحفظه بعنايته، ووالاه بإلهامه، وأبعد عنه ﷺ كيد الشيطان، وغمر قلبه بمعاني الحكمة والإيمان، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

وقد كان ﷺ في لينه، ورقته، وصبره، وتواضعه، ورفقه بالناس غاية لاتبلغها غاية، وصدق الله إذ يقول لنبيه:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾[1]

هذه أخلاق النبي ﷺ طبعه الله عز وجل عليها، وصدق إذ قال إظهارا لفضله عليهم وتكريما له:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[2]

وحسن الأخلاق مطلب من مطالب القرآن، والسنة في هداية الناس إلى الخير وصلاح أمرهم في الأولى والأخرة، يقول الله تعالى:

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[3]

---

(١) من الآية ١٥٩ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ١٢٨ من سورة التوبة.

(٣) الآية ١٩٩ من سورة الأعراف.

ويقول سبحانه:

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[1]

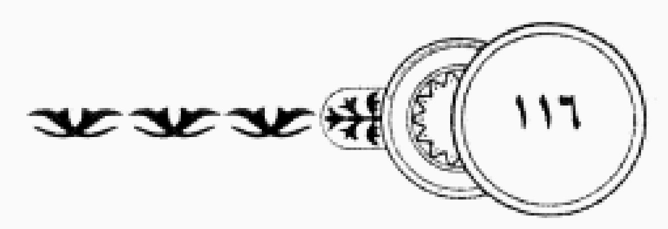
وإن أوضح ملامح حسن الخلق أن يكون المرء هينًا، لينًا، سمحًا، رفيقًا بالناس، طلق الوجه لهم، حليمًا، صبورًا على ما يلقى من عنت أو يصيبه من أذى، عفوًا كريمًا.

وقد سُئل عبدالله بن المبارك رحمه الله: ما حسن الخلق؟ قال: هو طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى.

وسئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا - أي في بيته - قالت: كان أبر الناس، وأكرم الناس، ضحَّاكًا، بسَّامًا. ولعلها تريد بقولها "ضحَّاكًا بسَّامًا" أنه كان كثير التبسم كثير البشاشة، فقد تواتر عنه ﷺ أنه كان لا يجاوز التبسم في سروره.

وقد كان ﷺ يدعو أصحابه إلى سمو الأخلاق ويحثهم على التزامها في بيان واضح، ومن ذلك ما رواه مالك والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «القصد والتؤدة وحسن السمت، جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوة».

(١) الآيتان ٣٤ و٣٥ من سورة فصلت.



والقصد بمعنى التوسط والاعتدال في الأمر، والتؤدة: التأني والتثبت. وحسن السمت: حسن الهيئة، وبشاشة الوجه، فهذه الخصال من أخلاق الأنبياء ينبغي التأسي بها والاقتداء فيها.

وفي وصايا النبي ﷺ للمسلمين بحسن الخلق، روى الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»، فهذه وصايا ثلاث ترقى بالمرء إلى أسمى المراتب في الدين والدنيا، فتقوى الله تعصم صاحبها أن يسوء خلقه مع الناس، ثم إذا بدرت من المرء بادرة خطأ بطبيعته البشرية كان علاجها أن يحسن بعدها إحسانا يمحو آثارها ليكون هذا سبيله إلى حسن الأخلاق.

وحسن الخلق وصف جامع يضبط سلوك الإنسان في المجتمع، ويجعله قدوة لغيره، فالأب متى حسن خلقه، واتسم بالصفات الحميدة التي دعا إليها الإسلام وحث عليها القرآن، تبعه أولاده، وصلح بذلك المجتمع لأنه جملة أسر.

تلك كلمات جامعة لرسول الله ﷺ تفصح عما طبع عليه، منة من الله سبحانه الذي أمرنا بالاقتداء برسوله:

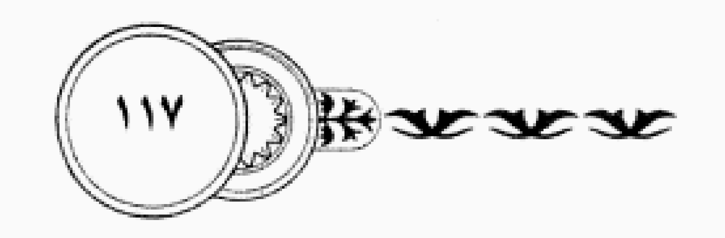
﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[1]

وها هو ذا في كلماته الجامعة يحثنا على الخلق الحسن ويوضحه لنا في أحاديثه وأعماله. ومن هذا ما رواه مسلم: «البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس».

نسأل الله أن يرزقنا حسن الخلق، وأن يهدينا إلى الاقتداء برسوله.

---

(١) الآية ٢١ من سورة الأحزاب.



الحلم والغضب

روى محمد بن حارث الهلالي أن جبريل نزل على النبي ﷺ وقال: يا محمد، إني أتيتك بمكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة:

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[1]

الحلم من أشرف الأخلاق وأحقها بذوي الألباب لما فيه من راحة للجسد واجتلاب للحمد.

وأسباب الحلم الباعثة على ضبط النفس:

الرحمة للجهال والقدرة على الانتصار والترفع عن السباب والاستهانة بالمسيء والاستحياء من جزاء الجواب والخوف من العقوبة على الجواب.

ويقول الشاعر:

وفي الحلم ردع للسفيه عن الأذى ∴ وفي الخرق إغراء فلا تك أخرقا

فتندم إذ لا تنفعنَّ ندامة ∴ كما ندم المغبون لما تفرقا

وقد قال الحكماء: ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن: لا يعرف الجواد إلا في العسرة، والشجاع إلا في الحرب، والحليم إلا في الغضب. وفي ذلك الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وجبت محبة الله على من أُغْضب فحلم».[2]

---

(١) الآية ١٩٩ من سورة الأعراف.

(٢) رواه الأصبهاني.

وقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم»[1]. وقال رجل للنبي ﷺ: مرني بأمر ولا تكثر عليّ لعلي لا أعقله. قال: «لا تغضب».[2] فهذه الإجابة المقتضبة من رسول الله ﷺ تبين بوضوح أن الغضب مفتاح الشر، فسيئاته كثيرة ونتائجه وخيمة، ولذلك كان ضبط النفس دليلاً على قدرة محمودة وخلق كريم.

وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تعدون الصرعة فيكم؟» قالوا: الذي لا تصرعه الرجال. قال: «ليس ذلك، ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب»[3].

جاء الإسلام ليقيم أركان المجتمع، فنهى عن الغضب ودعا إلى الحلم والرفق والأناة في الأمور كلها، ويقول رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه».[4]

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولاينزع من شيء إلا شانه»[5].

ولتسكين الغضب إذا هجم أسبابٌ يُستعان بها على الحلم منها: أن يذكر الله عز وجل، فيدعوه ذلك إلى الخوف منه، ويبعثه الخوف منه على الطاعة له، فيرجع إلى أدبه، وعند ذلك يزول الغضب.

---

(١) رواه الطبراني.
(٢) رواه البيهقي والحاكم.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه البخاري ومسلم.

قال الله تعالى:

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ [1]

قال عكرمة: يعني إذا غضبت.

وقال الله تعالى:

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [2]

ومعنى قوله ينزغنك أي يغضبك.

وقد روي عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع به الدرجات؟»، قالوا: نعم يارسول الله. قال: «تحلم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك وتصل من قطعك»[3].

ومنها: أن يذكر الإنسان ثواب العفو وجزاء الصفح فيقهر نفسه على الغضب رغبة في الجزاء والثواب وحذراً من استحقاق الذم والعقاب.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ينادي مناد يوم القيامة: من له أجر على الله عز وجل فليقم. فيقوم العافون عن الناس» ثم تلا:

﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [4]

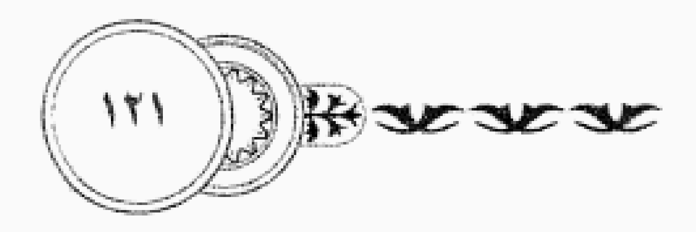
---

(١) من الآية ٢٤ من سورة الكهف.

(٢) الآية ٣٦ من سورة فصلت.

(٣) رواه الطبراني.

(٤) من الآية ٤٠ من سورة الشورى، والحديث ذكره القرطبي في تفسيره عن أنس رضي الله عنه.





أدب المجالس

الإسلام دين اجتماعي يحرص كل الحرص على التوافق بين الفرد والمجتمع باعتبار أن الفرد جزء من مجتمعه والمجتمع مكون من أفراد، لذا حرم كل ما من شأنه إثارة العداوة والبغضاء في المجتمع.

وتوثيقًا للروابط الإنسانية، دعا الإسلام المسلم أن يُخالط مجتمعه، بل أي مجتمع يلقاه، وحث على الصبر على إيذاء الغير طلبا للخلطة بين الناس لأن الإنسان الذي يعامل المجتمع ويشارك في أنشطته المشروعة خير من ذلك الذي ينطوي على نفسه ولا ينفع الناس ولا ينتفع بهم.

وفي الحديث الشريف الذي رواه أحمد والترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم».

هذا إذا لم تكن العزلة فراراً بالدين عن مجتمع انحرف انحرافًا بينا ولم يقدر المؤمن إبداء النصح والإلحاح به، فقد نقل عن بعض أهل العلم أن الاختلاط أفضل بشرط رجاء السلامة من الفتن[1].

واذا كان الإنسان مدنيًا بطبعه وكان لا بد لكل مجتمع من مجالس ومنتديات، فإن المجلس الذي يضم المسلمين ينبغي أن تسوده الألفة والإخاء والرحمة والتقيد بما أمر به الإسلام وبما نهى عنه. ومن أهم ما جاء به اختيار الجليس الصالح أو الجلساء الصالحين والابتعاد عمن لا خلاق لهم أو جلساء السوء.

---

(١) كتاب الآداب الشرعية لابن قدامة المقدسي جـ٢ ص١٧٨.

وإلى هذا وجه الرسول ﷺ في الحديث المتفق عليه: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحًا طيبةً، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة»[1].

ففي هذا التوجيه النبوي بيان ما للجليس الصالح من أثر طيب، وما للجليس السوء من تأثير خبيث وقد قيل:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ∴ فكل قرين بالمقارن يقتدي

ذلك لأن المجالس، يتبادل فيها طيب الحديث، كما قد تثار فيها أحاديث السوء من غيبة ونميمة، والمسلم الذي يخالط المجالس لا بد وأن يختار أيها أولى وأحرى به.

ومن أدب الإسلام في حضور المجالس أن على القادم أن يسلم ويجلس حيث ينتهي به المجلس، أي في المكان الخالي، ولا يقيمن أحداً من مكانه مهما كانت شخصية القادم إلى المجلس باعتبار أن المسلمين سواسية لا فرق بينهم بمراعاة الآداب الإسلامية الأخرى من توقير الكبير وتكريم الآباء واحترامهم والمعلمين والعلماء.

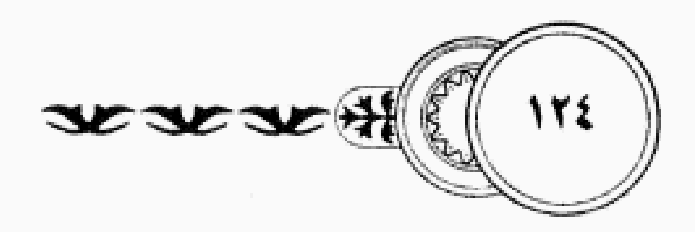
وفي الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقيمن أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم».[2]

والتوسعة في المجالس من محاسن الآداب في الإسلام وقد جاء بها القرآن في قول الله سبحانه:

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رياض الصالحين عن ابن عمر.



﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾[1]

ومعنى "تفسَّحوا" أي وسِّعوا لبعضكم البعض في المجلس. وحكم هذه الآية عام في كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر سواء كان مجلس ذكر أم صلاة جماعة أم عيد، والمكان لمن سبق إليه، وليراع الحاضرون وقار المجالس، واحترام الجمع الحاضر، والتلطف في الحديث وفي الحوار، والبشاشة مع الناس والتواضع لهم.

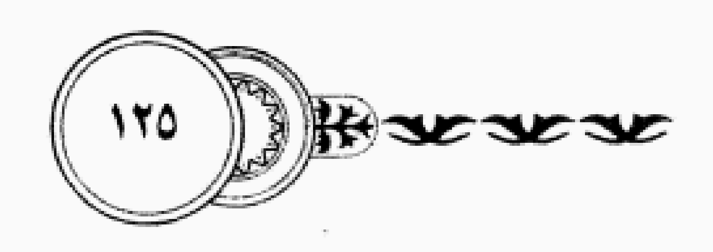
وهذا ما يشير إليه قول الله سبحانه:

﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[2]

وفي الحديث الشريف المتفق عليه قول الرسول ﷺ: «الكلمة الطيبة صدقة»[3].

ومن أدب المجالس في الإسلام تبيان المسلم الحديث إذا تكلم إلى غيره، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كان كلامه ﷺ فصلا يفهمه كل من سمعه.

(١) الآية ١١ من سورة المجادلة.
(٢) الآية ٨٨ من سورة الحجر.
(٣) رواه مسلم.



وينبغي ألا يترفع على من في المجلس، أو يضايق الجلوس أو تصدر منه أفعال تنفرهم، أو يمسك بزمام الحديث في المجلس فلا يترك لغيره مجالاً، ففي الحديث الشريف المتفق عليه قول الرسول ﷺ: «استنصف الناس»[1]، وحسن الجلسة بين الناس من أدب الإسلام حيث تدل على توقيرهم وتقديرهم، أما سوء الجلسة وبهيئة ينفر منها المجتمع فمنهي عنها في حديث رسول الله ﷺ الذي رواه أبو داود وغيره عن الشريد بن سويد رضي الله عنه قال: مَرَّ بي رسول الله ﷺ وأنا جالس وقد وضعت يدي اليسرى خلف ظهري واتكأت على إلية يدي - أي على اللحمة التي في أصل الإبهام - فقال رسول الله ﷺ: «لا تقعد قعدة المغضوب عليهم» وفي رواية ابن جريج زاد: «وضع راحتك على الارض».

ومن أدب المجالس ألا يتحدث اثنان ومعهما ثالث بغير إذنه إلا لحاجة ماسة لايجوز إعلانها.

ويشبه هذا كلام اثنين بلغة لا يفهمها ثالث مشارك لهما في المجلس لما في ذلك من الحرج للثالث فيظن أنهما يتكلمان وحدهما عنه.

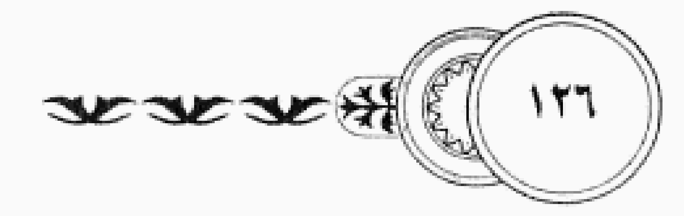
وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[2]

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) الآية ١٠ من سورة المجادلة.



وفي الحديث الشريف المتفق عليه قول رسول الله ﷺ: «إذا كانوا ثلاثة فلا يتناج اثنان دون الثالث»، والتناجي خفض الصوت في الحديث بين اثنين بحيث لا يسمعهما الثالث.

هذا طرف من آداب المجالس ينبغي أن نحرص على العمل بها وتعليمها أولادنا حتى لا تفترق أجيال الأمة في أدبها بل تتواصى وتتواصل على عقيدتها وشريعتها وآدابها التي استمدتها من كتاب الله وسنة الرسول ﷺ.



أدب الحوار

من الدعائم الأساسية في أدب الاختلاف: الحوار بالحسنى، وإذا استخدمنا التعبير القرآني قلنا: الجدال بالتي هي أحسن، وهو ما أمر الله تعالى به في كتابه حين قال:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[1]

وهنا نجد تفرقة في التعبير بين المطلوب في الموعظة والمطلوب في الجدال: ففي الموعظة اكتفى بأن يكون حسنة، أما في الجدال فلم يرض إلا أن يكون بالتي هي أحسن، بمعنى أنه إذا كان هناك أسلوبان، أو طريقتان إحداهما حسنة، والأخرى أحسن منها وأفضل، فالمأمور به أن نتبع التي هي أحسن.

وسر ذلك: أن الموعظة ترجع ـ عادةً ـ إلى الموافقين، الملتزمين بالمبدأ والفكرة، فهم لا يحتاجون إلا إلى موعظةٍ تذكّرهم، وترقق قلوبهم وتجلو صداهم وتُقوي عزائمهم، على حين يوجّه الجدال ـ عادة ـ إلى المخالفين، الذين قد يدفع الخلاف معهم إلى شيء من القسوة في التعبير أو الخشونة في التعامل أو العنف في الجدل. فكان من الحكمة أن يطلب القرآن اتخاذ أحسن الطرائق وأمثلها للجدال أو الحوار، حتى يؤتي أكله.

ومن هذه الطرائق أو الأساليب: أن يختار المجادل أرق التعبيرات وألطفها في مخاطبة الطرف الآخر. ومن أساليب الحوار بالحسنى: إبراز نقاط الالتقاء، ومواضع الاتفاق بينك وبين من تحاوره.

---

(١) الآية ١٢٥ من سورة النحل.

وهو أسلوب قرآني، يجب أن نتعرف عليه، فهو يقول في حوار أهل الكتاب من اليهود والنصارى:

﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝٤٦ ﴾ (١)

ومثل ذلك قوله في سورة أخرى:

﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۝٣٩ ﴾ (٢)

فإذا كان هذا موقف المسلم مع من يجادله من أهل الكتاب الذين يخالفونه في عقيدته، وأصل دينه، ولا يؤمنون بأن محمداً رسول الله، ولا أن القرآن كتاب الله، ولا أن الإسلام شريعة الله، فماذا ينبغي أن يكون موقف المسلم من أخيه المسلم حيث توافقا على الإيمان بما يجب الإيمان به من عقيدة وشريعة ورسول وكتاب؟

وهذا نموذج رائع من نماذج حوار القرآن مع المخالفين؛ حيث يتنزل معهم في الكلام، ويرخي لهم العنان ليستميلهم إليه، ويقربهم إلى ساحته، ولا يستثير دوافع الخصومة وحب الجدل في نفوسهم، بل يحاول ـ بأسلوبه الرقيق الحكيم ـ تهدئتها، وتقليم أظافرها، ذلك قول الله تعالى:

---

(١) الآية ٤٦ من سورة العنكبوت.
(٢) الآية ٣٩ من سورة البقرة.



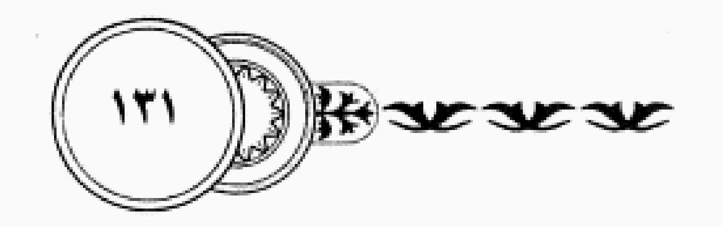
﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾[1]

وهذه مجادلات الرسل مع أقوامهم، كما حكاها القرآن، تحمل هذا المعنى بكل جلاء؛ معنى الرفق والتلطف واستخدام ألين العبارات في الدعوة والحوار.

وحسبنا أن نذكر نموذجًا لذلك: حوار نوح عليه السلام مع قومه، لنتمثل فيه أدب النبوة وهديها:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ

(١) الآيات من ٢٤:٢٦ من سورة سبأ.



ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [1]

إن الكلمة العنيفة لا لزوم لها، ولا ثمرة تجتنى من ورائها، إلا أنها تجرح المشاعر، وتغير مودة القلوب.

وهذا المنهج مطلوب كذلك عند اختلاف الرأي: الاختلاف الملتزم بآداب الحوار وموضوعيته والبُعد عن الإثارة والتهييج. أما الحوار الذي يصحبه العنف والاتهام والتجريح فالأغلب أنه يفسد الود، ويعكر صفاء الأنفس. إن حسن اختيار بعض الجمل أو العبارات المناسبة في بعض الأحيان يحل مشكلات، ويفض اشتباكات.

وهذا ما يحسن بالدعاة والمفكرين أن يحرصوا عليه، ويدققوا فيه.

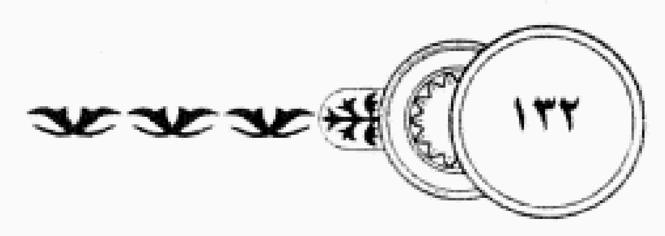
وصدق الله سبحانه:

((وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا)) [2]

---

(١) الآيات من ٢٥:٣٤ من سورة هود.

(٢) من الآية ٨٣ من سورة البقرة.



نظافة المؤمن

قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٦ ﴾[1]

ذلك أن الإسلام قد شرع الطهارة نظافة للظاهر كما شرع نظافة الباطن بالإيمان، وشرع الوضوء على الوضوء نوراً على نور استحباباً في أي وقت من الأوقات، مما يؤدي إلى استدامة النظافة في المسلمين، حيث حرضهم القرآن عليها تحريضاً له مغزاه وحكمته، فقد قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾[2]

---

(١) الآية ٦ من سورة المائدة.

(٢) من الآية ٢٢٢ من سورة البقرة.

وهكذا، أصبحت النظافة سمة للمسلمين وصارت من الإيمان.

وللنظافة في الدنيا أثرها على صاحبها في يوم الدين والجزاء، فقد بين رسول الله ﷺ أن الرجل الحريص على نقاوة بدنه، ووضاءة وجهه، ونظافة أعضائه، يبعث على حاله تلك، وضيء الوجه، أغر الجبين، نقي البدن والأعضاء.

فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ زار المقابر يومًا فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم عن قريب لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا»، قالوا: أو لسنا إخوانك يارسول الله؟ قال: «أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد»، قالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يارسول الله؟ قال: «أرأيت لو أن رجلاً له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟» قالوا: بلى يارسول الله. قال: «فإنهم يأتون غرًا محجلين من الوضوء».[1]

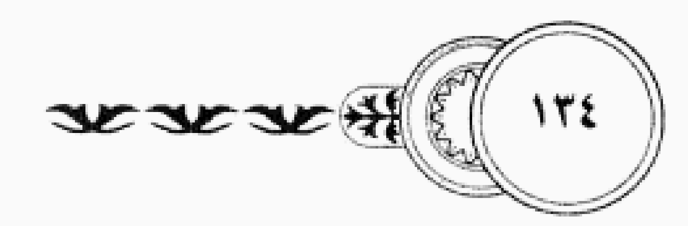
إن صحة الأجسام وجمالها ونضرتها من الأمور التي وجه الإسلام إليها عنايةً فائقة، واعتبرها من صميم رسالته، ولن يكون الشخص راجحًا في ميزان الإسلام محترم الجانب إلا إذا تعهد جسمه بالتنظيف والتهذيب، وكان في مطعمه ومشربه وهيئته الخاصة بعيدا عن الأدران المكدرة، والأحوال المنفرة.

ولقد فرض الإسلام الوضوء للصلاة تطهرًا وتنظفًا للأعضاء الظاهرة، وشرع الإسلام الغسل يومًا في كل أسبوع على الأقل، وحث رسول الله ﷺ على هذا فقال: «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم..»[2] أي بالغ.

وفي الحديث: «إن هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين فمن جاء الجمعة فليغتسل»[3].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري وأبو داود.
(٣) رواه ابن ماجه.



ولقد أوجب الإسلام النظافة من الطعام فبعد أن ندب إلى الوضوء له - ويكفي فيه غسل الأيدي - أمر بأن يتخلص الإنسان من فضلاته وروائحه، وآثاره، وهذا أنقى للمرء وأطيب.

روي عن رسول الله ﷺ: «بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده»[1]، يعني غسل وتنظيف الأعضاء التي اشتركت في الطعام. وهذه النظافة المطلوبة يتفاوت الحث عليها باختلاف نوع الطعام وآثاره على البدن، حتى إذا ما تسربت هذه الآثار إلى الأماكن المتوارية كان حقا على المسلم أن يتطهر منها نقاءً لبدنه ومنعًا من تكدير غيره. وفي هذا قال رسول الله ﷺ: «تخللوا فإنه نظافة، والنظافة تدعو إلى الإيمان، والإيمان مع صاحبه في الجنة»[2].

ولقد عني الدين بتطهير الفم وتجلية الأسنان وتنقية ما بينهما، فقال رسول الله ﷺ: «تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب، ما جاءني جبريل إلا أوصاني بالسواك حتى لقد خشيت أن يفرض عَلَيَّ وَعلَى أمتي»[3].

ولقد أثبت العلم أن الجراثيم إنما تجد مرتعها الخصب في الأيدي والأفواه التي بها أثر للطعام.

ومن احترام الإسلام للفرد والمجتمع تحريمه على من أكل ثومًا أو بصلا أن يحضر المجتمعات حتى لا يؤذي الحاضرين.

وفوق هذا، فقد أوصى الإسلام بمراعاة حسن المنظر وكريم الهيئة، وقد ألحق هذا الخلق بآداب الصلاة قال تعالى:

---

(١) رواه أبو داود والترمذي.

(٢) رواه الطبراني.

(٣) رواه الطبراني والبيهقي.

﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[1]

وكان رسول الله ﷺ يعلم المسلمين أن يعنوا بهذه الأمور، وأن يلتزموها في شئونهم الخاصة، حتى يبدو المسلم في سمته وملبسه وهيئته جميلا مقبولا.

إن حسن المظهر في غير سرف، والتجمل في غير صناعة من تعاليم الإسلام التي يدعو إليها، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة. فقال ﷺ: «إن الله تعالى جميل يحب الجمال»[2].

وقد امتد هذا التقدير والتجميل من أشخاص المسلمين إلى بيوتهم وطرقهم، فإن الإسلام نبه إلى تخلية البيوت من الفضلات والقمامات، حتى لا تكون مباءة للحشرات ومصدراً للعلل والأمراض.

روي أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود»[3].

وإماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان.

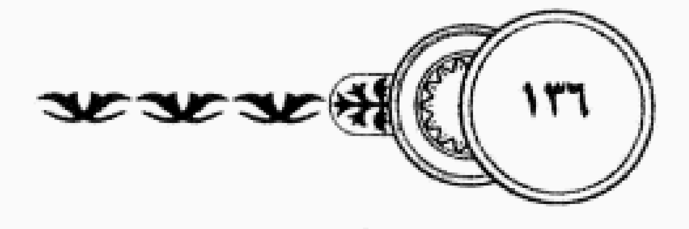
إن عناية الإسلام بالنظافة والصحة جزء من عنايته بقوة المسلمين المادية والأدبية، فهو يتطلب أجساماً تجري في عروقها دماء العافية ويمتلىء أصحابها قوة ونشاطاً، فإن الأجسام الهزيلة لاتطيق عبئاً، والأيدي المرتعشة لاتقدم خيرا.

---

(١) الآية ٣١ من سورة الأعراف.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم والترمذي.

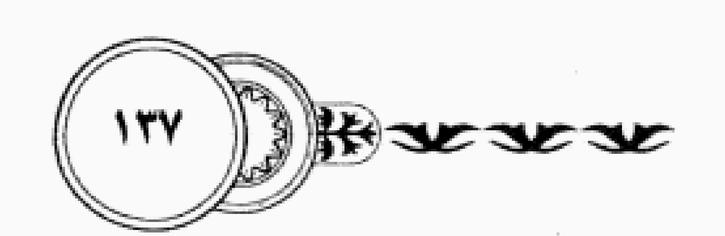


فلنكن كما أمرنا الله في القرآن وعلى لسان صاحب الرسالة محمد ﷺ أجساداً نظيفة صحيحة طاهرة وقلوباً بالإيمان عامرة، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ١٢٨ ﴾[1]

---

(١) الآية ١٢٨ من سورة النحل.



التفاؤل والتشاؤم وأثرهما في سلوك الإنسان

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لاعدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل»، قالوا: وما الفأل؟ قال: «كلمة طيبة»[١].

إنه ليس هناك أضر بالرأي ولا أفسد للتدبير، من اعتقاد الطيرة، ومن ظن أن نعيب غراب يرد قضاءً أو يدفع مقدوراً فقد جهل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا ظننتم فلا تحققوا، وإذا حسدتم فلا تبغوا، وإذا تطيرتم فامضوا وعلى الله فتوكلوا»[٢]

بذلك حارب النبي ﷺ هذا الخلق السيء - خلق التشاؤم - وتلك العقائد الفاسدة التي كان العرب في الجاهلية قبل الإسلام يعتقدونها.

وقد قال الله فيهم:

﴿ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[٣]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطيرة شرك، الطيرة شرك»[٤].

فالمؤمن المتوكل على الله يعلم أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين الواحد المتصرف في ملكه لا يغير قضاءه شيء ولا يرد بلاءه طير، بل ولا الإنس والجن ولو اجتمعوا.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن ماجه.

(٣) الآية ٤٧ من سورة النمل.

(٤) رواه البخاري وأحمد.

والمؤمن واثق أن السعي والكد واجب، وأن قضاء الله غالب، لا يجعل الأوهام تضعف عزيمته وتقطع غايته، ولكنه يأخذ بالأسباب ويتوكل على الله.

ولهذا قال رسول الله ﷺ «الطيرة شرك «ثلاثا» وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل»،[1] وقد أفاد رسول الله ﷺ بأن الشؤم لو كان له وجود لكان في الدار والمرأة والفرس، لكن لا وجود له فيها أصلاً، ومع هذا نجد النبي ﷺ وضح ما جاء في هذا الحديث بقوله: «اليمن والشوءم في المرأة والمسكن والفرس، فيمن المرأة خفة مهرها، ويسر نكاحها، وحسن خلقها، وشؤمها غلاء مهرها، وعسر نكاحها وسوء خلقها، ويمن المسكن سعته وحسن جوار أهله، وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله، ويمن الفرس ذله وحسن خلقه، وشؤمه صعوبته»[2].

فالتفاؤل والاستبشار يشجعان على العمل والإقدام، فهما من وسائل الفوز والنوال، وأما التطير فهو إحجام وخوف يؤدي إلى الحرمان. وقد كان رسول الله ﷺ يتفاءل في غزواته وحروبه، ويسمع الكلمة الطيبة فيقول لصاحبها والبشر في وجهه: «أخذنا فألك من فيك»[3] وروي أنه ﷺ لما قدم المدينة نزل على رجل من الأنصار فصاح الرجل بغلاميه "يا سالم" و"يا يسار" فقال رسول الله ﷺ: «سلمت لنا الدار في يسر».[4]

وقيل في منثور الحكم: الخير في ترك الطيرة. وليقل إن عارضه في الطيرة ريب، أو خامره فيها وهم، ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من تطير فليقل اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله»[5].

---

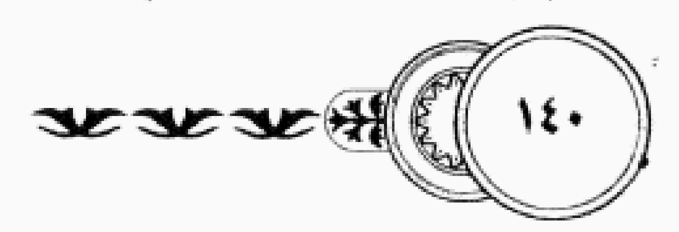
(١) رواه أحمد وابن حبان وأبوداود.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد وأبوداود.

(٤) رواه البيهقي.

(٥) زاد المعاد لابن القيم.



فينبغي لمن تفاءل أن يتأول الفأل بأحسن تأويلاته ولا يجعل لسوء الظن على نفسه سبيلا، فقد قيل: إن البلاء موكل بالمنطق.[1] وروي أن يوسف عليه السلام شكا إلى الله تعالى طول الحبس، فأوحى الله تعالى إليه: "يا يوسف أنت حبست نفسك حيث قلت رب السجن أحب إلي، ولو قلت العافية أحب إلي لعوفيت".

وحكي أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك تفاءل يومًا في المصحف، فخرج له قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝١٥﴾[2]

فمزق المصحف وأنشأ يقول:

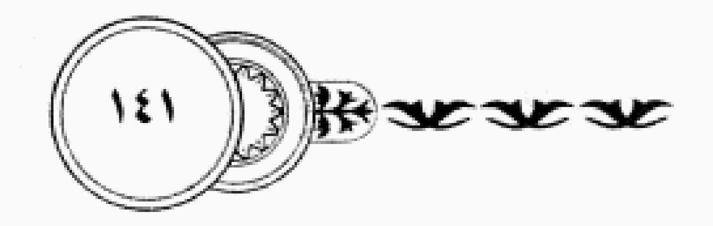
أتوعد كل جبار عنيد ∴ فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر ∴ فقل يارب مزقني الوليد

فلم يلبث إلا أيامًا حتى قتل شر قتلة وصلب رأسه على قصره، ثم على سور بلده. فنعوذ بالله من البغي ومصارعه، ومن الشيطان ومصائده وهو حسبنا وعليه توكلنا.

فعلى المرء أن يؤمن بأن الله خالق كل شيء ومقدر له، وفي هذا حديث رسول الله ﷺ الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ فقال: «ياغلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم

---

(١) مجمع الأمثال للميداني.
(٢) الآية ١٥ من سورة إبراهيم.



يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[1]، وفي رواية أخرى: «احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا»[2].

فليترك المتشائمون تشاؤمهم، فكل شيء بقضاء الله ولا راد لقضائه.

---

(١) رواه أحمد والترمذي.

(٢) رواه الترمذي والطبراني.

اجتماعيات في الإسلام
(أدب الاستئذان)

هذا هو الإسلام يأخذ بيد المسلم إلى الهدى والرشاد وإلى العفة والألفة وإلى الطهر والنقاء، طهر القلب واستقامة الجوارح.

ها هو الإسلام يهذب ويؤدب إلى أقوم الطرق لاستدامة المودة والمحبة بين الناس ويشرع للناس ما فيه صلاح الفرد وصلاح المجتمع.

ها هو القرآن ينادي المسلمين المؤمنين ويحثهم على أدب فريد ورفيع تحفظ به الحرمات بل والحريات الذاتية، فيقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾[١]

وفي حديث رسول الله ﷺ: «الاستئذان ثلاثة فإن أذن لك وإلا فارجع»[٢]، وفي حديث آخر قال ﷺ: «إنما جعل الاستئذان من أجل البصر»[٣]، كما قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يحل لأحد أن يفعلهن: لايؤم رجل قوماً فيخص نفسه بالدعاء دونهم، فإن

---

(١) الآيتان ٢٧و٢٨ من سورة النور.

(٢) رواه الجماعة.

(٣) رواه الجماعة.

فعل فقد خانهم، ولاينظر في قعر بيت قبل أن يستأذن، فإن فعل فقد دخله، ولا يصلي وهو حقن حتى يتخفف»[1].

والحقن هو من اجتمع بوله واحتبسه.

ومن أدب الاستئذان الذي وجه إليه القرآن قوله تعالى:

﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾[2]

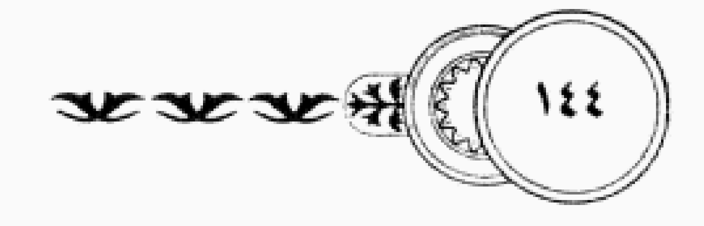
هذه النصوص من كتاب الله وسنة رسوله تحثنا على أدب الاستئذان، وذلك حرصًا على الحذر من الاطلاع على العورات والحرمات، ولأن الناس في بيوتهم ومنازلهم يتخففون من الملابس، ويتحررون من القيود التي يلتزمونها في المجتمعات. ومن ثم، لزم ألا يفاجئهم الزائر لهم وهم على غير استعداد للقائه سواء في ذات هيأتهم أم في ذات منازلهم وبيوتهم، ولأن كل إنسان سوي يرغب أن يراه الغير في أحسن حال وأن يكون بيته أبهى وأجمل مثال.

وأدب الاستئذان ليس مقصوراً على الوافدين الزائرين، وإنما هناك المخالطون لأهل البيت كثيرا من الخدم والأطفال الذين لم يبلغوا الحلم، إذ من الصعب أن يستأذن هؤلاء في كل مرة للدخول. ومن ثم، أوجب القرآن استئذان هؤلاء في أوقات ثلاثة محددة جاء بيانها في قوله تعالى:

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

(٢) الآية ١٨٩ من سورة البقرة.



﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾[1]

ذلك لأن هذه الأوقات الثلاثة يغلب أن يكون الإنسان في حال نوم أو تخل أو تخفف من الملابس الساترة لجسده. فإذا دخل الخدم أو الأطفال دون استئذان ربما اطلعوا على شيء من عورة الرجل أو المرأة. ومن هنا، جاء أدب القرآن في سورة النور بوجوب استئذان الأطفال الذين بلغوا الحلم؛ حيث قال:

﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾[2]

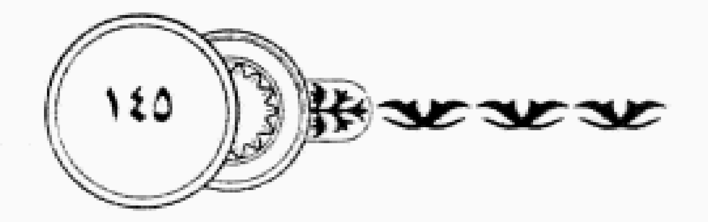
ومن أدب الاستئذان ألا يستقبل الزائر باب البيت أو المنزل أو يقف أمام منفذ مفتوح كالشباك حتى لا يمتد بصره إلى الداخل فيقع في المحظور الذي شرع الاستئذان وقاية منه وهو استطلاع العورات وما لا يحب أهل البيت اطلاع الغير عليه.

ومن كمال أدب الاستئذان أن يفصح الزائر المستأذن عن اسمه حتى يتعرف صاحب الدار عليه ويأذن له إن شاء. إن هذه الآداب التي فرضها الله في سورة النور للزيارة فيها ترويض الطباع وتنظيمها وتهذيبها وصولاً بها إلى رفاهية

---

(١) الآية ٥٨ من سورة النور.

(٢) الآية ٥٩ من سورة النور.



الحضارة وتأسيسها على مبادىء الأخلاق الفاضلة وعلى حتمية مراعاة مشاعر الناس وحريتهم في بيوتهم والحفاظ على أسرار البيوت والبعد عن استراق النظر والتطلع إلى ما لا يحب الناس أن يظهر لغيرهم.

وبالاستئذان تدوم الألفة والمحبة والوئام ويزداد الإخاء والاحترام، أما التهجم على الناس في بيوتهم ودخولها بغير استئذان أيًا كانت صلة القربى أو الصداقة أو الجوار فإن هذا يؤدي إلى التباغض وفقدان التقدير والاحترام بين الناس، وهذا ما لا يرضاه الإسلام وما لا يتفق مع مقاصده من إشاعة المودة والتعاون على البر والتقوى.

هذا، وعدم الاستئذان عند دخول بيوت الآخرين يؤدي إلى الاطلاع على عورات لا يحبون ظهورها، وقد يُتحدث بهذه العورات وتفشى وتشيع بين الناس، وفي هذا إساءة وتحقير. ولقد ذم القرآن الكريم أولئك الذين يشيعون النواقص والأخطاء والسيئات عن غيرهم، ففي قول الله سبحانه:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[1]

ذلك أن كل إنسان له زلاته وعثراته؛ ففي الحديث الشريف الذي رواه أحمد والترمذي: «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»، ولا ينبغي للمسلم إذا علم أو رأى سوءًا عن أحد الناس أن يذيعه أو يشيعه، بل وجب الستر عملاً بقول الرسول ﷺ الذي رواه مسلم: «من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة». ومن ثم، كان الاستئذان على الغير من باب سد الذرائع إلى الشرور والآثام.

هذا أدب الإسلام وتوجيهه حتى يعيش الناس في مجتمع فاضل تسوده المودة والخلق الكريم ويلتزم فيه كافة أفراده أخلاق الإسلام ويتبادلون المنافع التي شرعها الله.

---

(١) الآية ١٩ من سورة النور.

أدب الطعام

لتناول الطعام في الإسلام آداب ينبغي أن تعنى بها الأسرة المسلمة كباراً وصغاراً.

وقد أكد رسول الله ﷺ هذا فيما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري، يقول عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه: كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي: «ياغلام سم الله، وكل بيمينك وكل مما يليك»، فما زالت تلك طعمتي بعد. هذا تعليم للصبي، أن يبدأ الأكل بالتسمية وأن يكون باليد اليمنى ومما يليه، وفي هذا تعليم أيضاً للكبار بواجب إرشاد الصغار.

وفي هذا الحديث توجيه إلى البدء بالتسمية عند تناول الطعام وأن يكون الأكل باليد اليمنى، إذ في هذا تفاؤل باليمن والبركة من شأنه أن يكف الإنسان عن الشره في الطعام.

وينبغي أن يأكل المسلم مما يليه، وألا يبادر إلى الطعام قبل غيره، وألا يديم تصويب النظر إليه، ولا إلى من يشاركه في الأكل، وألا يسرع في تناول الطعام، وأن يجيد المضغ دون صوت، وأن يرعى عادة وعرف البيئة، فإذا كانوا ممن يأكلون بالأدوات المعاصرة - مثل السكاكين والملاعق - شاركهم في عادتهم ولا ينفرد بما قد يستشعرون منه الاستقذار كتلطيخ يده وثوبه بالطعام، وإن كان المشاركون ممن يأكلون بأيديهم، شاركهم دون تكبر واستعلاء أو ازدراء، فالأكل وطريقته ذو صلة وثيقة بالخلق.

وفي البدء بالتسمية تقوية للإيمان وتذكير بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين هذا الإيمان هو الذي يُشعر الإنسان - كبيراً أو صغيراً - باحترامه نفسه بالبعد عن الشره كي يتيح للمشاركين أخذ حظهم من الطعام.

وعن الشبع وملء البطن قد كان تحذير الرسول ﷺ تفسيرا للإسراف في تناول الطعام والشراب واتقاءً للأضرار الصحية التي تترتب على ذلك.

من هذا ما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي عن مقدام بن معدي كرب، رفعه: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه».

ولقد علق الإمام الغزالي على هذا المعنى بقوله: إن من شبع شرب كثيراً، ومن كثر شربه كثر نومه.

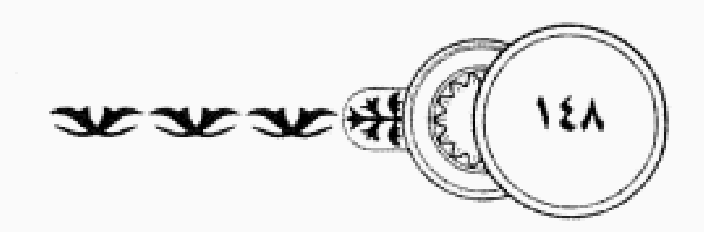
وقال بعض الصالحين لأتباعهم: لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً، فترقدوا كثيراً، فتخسروا كثيراً.

إن الأكل يمنع من كثرة العبادات؛ لأنه يحتاج إلى زمان يشتغل فيه بالأكل وربما يحتاج إلى زمان في شراء الطعام وطبخه، ثم يحتاج إلى غسل يده، ثم يكثر تردده على بيت الماء لكثرة شربه .

والأوقات المصروفة إلى هذا لو صرفها في الذكر والمناجاة وسائر العبادات والأعمال النافعة لكثر ربحه.

والأصل في ذلك ما جاء في السنة الشريفة المقررة لما كان عليه النبي ﷺ من خلق الاعتدال والتوسط في كل شيء. وكان من سمة الرسول ﷺ وآله أنهم ما شبعوا من طعام قط.

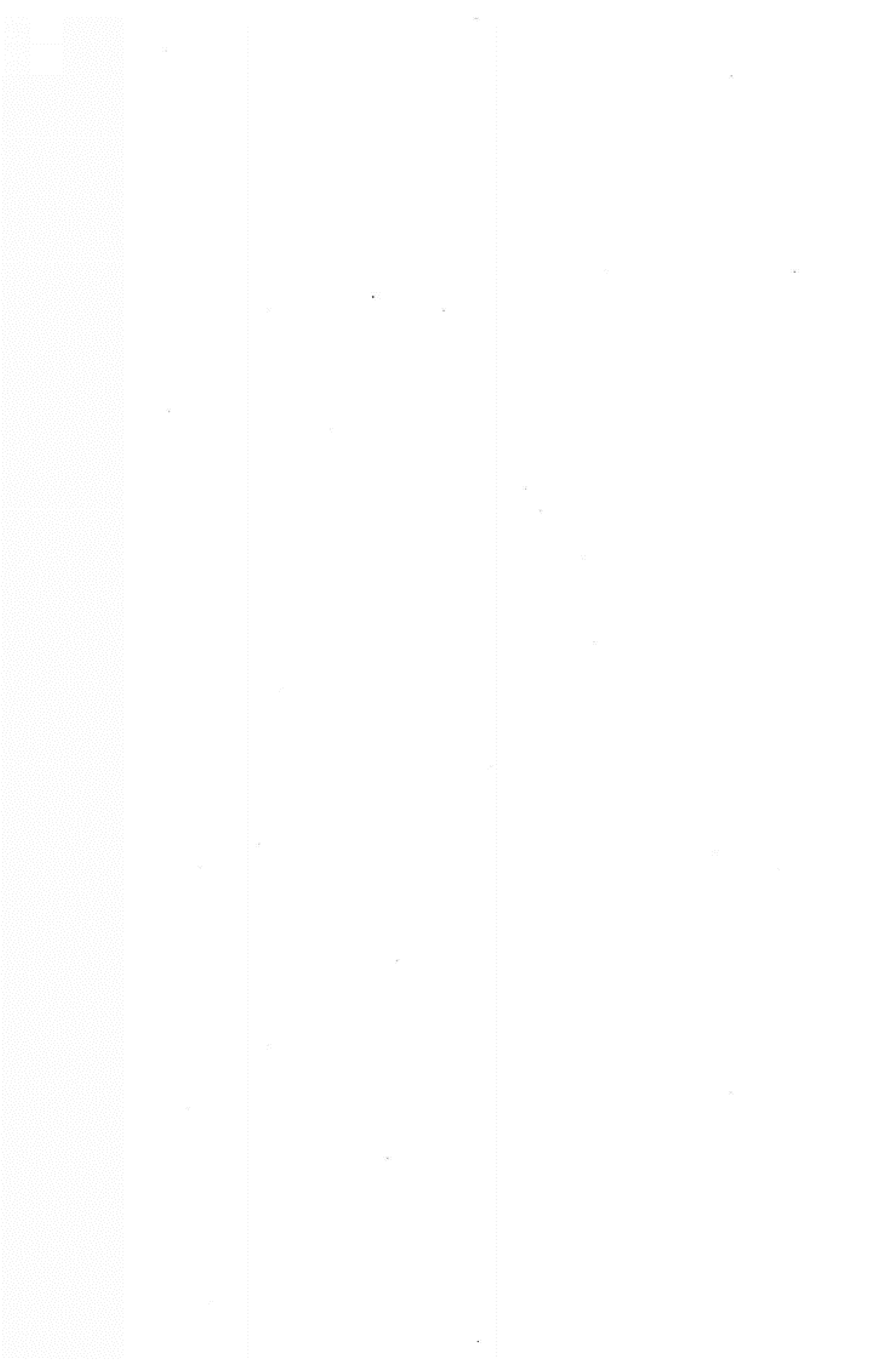
روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما شبع آل محمد ﷺ من طعام ثلاثة أيام حتى قبض. وفي رواية: ثلاثة أيام تباعا. وفي التسمية قبل الأكل بركة في كفاية الطعام، ولو بدا للعين أنه غير كاف، كما أن تركها محبط لهذه البركة.



روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يأكل طعامًا في ستة نفر من أصحابه، فجاء أعرابي فأكل بلقمتين (أي كل لقمة تعدل لقمتين)، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه لو سمى لكفاكم».

ومن ثم، كان واجبا على الجالسين للطعام أن يستشعروا نعم الله سبحانه بذكره بما شرع - بسم الله الرحمن الرحيم - ليكون منها انطباعات تتشكل عليها نفوسهم في تناول الطعام لا سيما إذا وجد الصغار حتى يتأثروا بالكبار وينطبعوا على البدء بها.

والأمر بالأكل باليمين استشعارًا للفأل الحسن بالشفاء والعافية بهذا الغذاء يقابله النهي عن الأكل بالشمال فرارًا من كل صفة تقرب المؤمن من صفات الشيطان.



اجتماعيات الإسلام تحرم الإسراف في الطعام

في سورة طه، قول الله سبحانه:

﴿ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾[1]

والأمر في هذه الآية بإباحة الأكل للإنسان يقابله في ذات الآية الأمر برعي الأنعام.

ومعنى هذه المقابلة بين الأمر بالأكل للإنسان والأمر بالرعي للأنعام، أن الإنسان يأكل بضوابط خاصة ولهدف معين بينما الحيوان يرعى في أرض الله الواسعة بلا ضوابط أو أهداف والإنسان هو المأمور برعيه المتكفل بغذائه، فإن الله قد سخر للإنسان كل ما في الأرض وما عليها.

وإذا كانت غريزة الحيوان تقف به عند حد تناول الأعشاب فإن للإنسان أفقًا آخر ينبغي أن يرتقي إليه كما نبهت الآية التي تَلَوْنَا: (إن في ذلك لآيات لأولي النهى)، إذ ينبغي أن تكون مواهب الإنسان ودوره في الحياة غير محصور ولا مقصور على شهوة الطعام وتناوله، وإلا لتساوى مع الحيوان الذي وقفت به غايته إلى الرعي فحسب دون هدف سواه.

وهذا يقود الإنسان - كل الإنسان - إلى أن يذكر نعمة الأكل ونعمة العافية التي وهبها الله له نتيجة هذا الأكل والغذاء. وبهذا يستكشف الإنسان آيات الله في نفسه وفي الكون، وإلى هذا يوجهنا القرآن في قول الله سبحانه في سورة عبس:

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾[2]

---

(١) الآية ٥٤ من سورة طه.

(٢) الآية ٢٤ من سورة عبس.

وإذا كنا قد أمرنا من الله الذي خلقنا ورزقنا بالأكل في قوله تعالى:

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾[1]

وقوله سبحانه في ذات السورة:

﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ﴾[2]

فإننا مأمورون أيضًا بالنظر فيما نأكل - يقول الله في سورة الأنعام أيضًا:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّـٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[3]

ما ذلك إلا ليتحصل لنا بهذا النظر آيات الله في طعام جعله نعمة لنا نقيم به أودنا، وتتوالى به عافيتنا، ونعمل بهذه الآيات على حمد الله وشكر المنعم سبحانه

---

(١) الآية ١٤١ من سورة الأنعام.

(٢) الآية ١٤٢ من سورة الأنعام.

(٣) الآية ٩٩ من سورة الأنعام.

على جليل وجميل نعمائه، وإذا كان الطعام نافعا للإنسان فإن الإسراف فيه قد يؤدي إلى الانحراف. والابتعاد به عن هذه الغاية، بل يؤول إلى الإتلاف، ومن ثَم، أباحه الإسلام في إطار من الضوابط التي تحقق النفع منه فيما يتعلق بجسم الانسان وفيما يتعلق بخلقه.

وبهذا المفهوم الإسلامي لمعنى الأكل تميز المسلم عن غيره، كما قال الله مبينا هذا في سورة محمد في قوله تعالى سبحانه:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾[1]

أي أن أولئك الذين لم يخالط الإسلام قلوبهم يأكلون غافلين عن عاقبتهم.

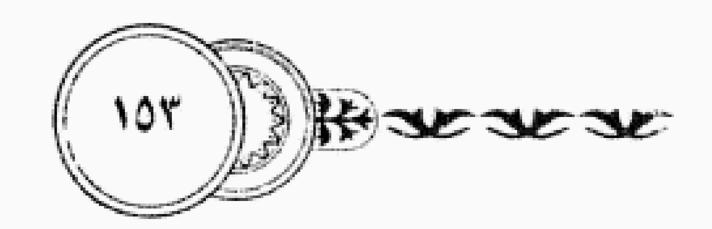
وتصوير هذا ـ كما جاء في صحيح البخاري ـ أن رجلاً كان يأكل كثيراً، فلما أسلم، كان يأكل قليلاً. فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «إن المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء».

ومعناه: أن المؤمن مشغول بأسمى معالي الأمور المحققة للسعادة والفلاح في أعماله في الدنيا من كسب الرزق من الحلال وذكر الله تعالى وحسن التعامل مع الناس أخذاً وعطاء.

إن المؤمن كامل الإيمان، الذي أخذ نفسه وأهله بآداب الإسلام في الطعام والشراب ينبغي أن يتحلى بالزهد ويعرض عن الإسراف، وأن يكتفي بما يسد الحاجة حتى يأخذ غيره حاجته، وهذا مانبه إليه القرآن في قول الله سبحانه في سورة الأعراف:

---

(١) الآية ١٢ من سورة محمد.



﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾[1]

إن المؤمن الكامل الإيمان هو الذي يتحرى آداب الإسلام ويمتنع عن الاحتكار وعن التوسع في الاستيلاء على ما في الأسواق؛ بل ينبغي أن يكتفي بالقليل المبارك فيه لأن همته أعلى وأغلى من أن تنحصر في ازدراد صنوف من الأطعمة يكفي منها القليل. كما يجب أن يترك لغيره فرصة الحصول على حاجته.

(١) الآية ٣١ من سورة الأعراف.

التواضع من أخلاق الإسلام

عن عياض رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد»[1].

هذا الحديث الشريف يدعو إلى التحلي بخلق رفيع من أخلاق الإسلام، ذلك هو التواضع. إن الناس جميعًا تتفاوت نفسياتهم؛ فمنها ما انطوت على ميول البغي والعجب والكبر، ومنها الخير المتواضع في غير مهانة. والوصفان - التواضع والكبر - يكمنان في كل نفس، وكل شر مخلوق إلى جانب الخير ليعُرف به، والإسلام - دين الله الخاتم - جاء باحثًا، فاحصًا للنفس البشرية، واصفًا لأدوائها، مبينًا دواءها. فحين تطغى على الإنسان نزعات تخرج به عما يجب أن يكون عليه بالنسبة لإخوته في الإنسانية، يخاطبه القرآن بما يهذبه:

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[2]

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾[3]

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) الآية ٨٣ من سورة القصص.

(٣) الآية ١٨ من سورة لقمان.

ومعناه: لا تمل خدك وتعرض به عن الناس تكبراً عليهم ولا تمش بينهم المشية التي يكرهها الله وهي التبختر، إذ إن نفسية الإنسان المتمرد تميل إلى الشر، فلا تعرف حق الله ولا حق الناس، ومتى أعرض الإنسان عن ربه، فعصى أوامره وارتكب زواجره، فقد باء بالخسران المبين. والإعراض عن الناس بالتكبر عليهم والتباعد عنهم. وإذا خالطهم لا يسايرهم وكأنه في مستوى أرفع من مستواهم، أولئك في الأذلين عند الله وبين الناس. فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة. قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»[1].

هذا، بينما نجد القرآن إلى جانب المتواضعين؛ فيوجهنا إلى ذلك قوله تعالى:

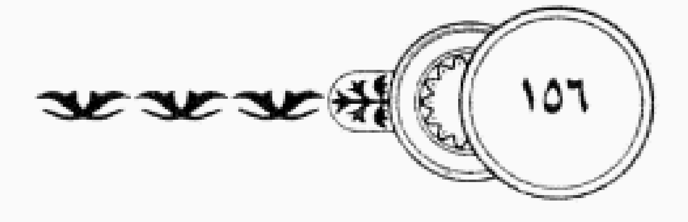
﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾[2]

ويقول:

﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ ﴾[3]

---

(١) رواه مسلم.
(٢) الآية ٢١٥ من سورة الشعراء.
(٣) الآية ١٨ من سورة لقمان.



ويقول:

﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾[1]

ويقول:

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[2]

وجاءت كلمات رسول الله ﷺ وخلقه ـ كل ذلك ـ مصدقًا لدعوة القرآن، فها هو في هذا الحديث يخبرنا بأن الله أوحى إليه الدعوة إلى التواضع. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال ومازاد الله عبداً بعفو إلا عزاً.. وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله».[3] هذا التواضع بمعنى حسن التعامل مع الناس، الكبير والصغير، والغني والفقير، صاحب النسب والحسب وفاقدهما.

فهذا أنس رضي الله عنه يحدثنا عن تواضع رسول الله عليه الصلاة والسلام فيقول: إن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد النبي ﷺ فتنطلق به حيث شاءت. وفي

(١) الآية ٣٢ من سورة النجم.

(٢) الآيتان ٤٨ و٤٩ من سورة الأعراف.

(٣) رواه مسلم والترمذي.

حديث آخر، أنه كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم. ولعل في قول الله سبحانه:

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾[1]

لعل في هذه الآية الكريمة تعريضاً بهذه النفوس التي لبسها الكبر وبعدت عن التواضع واعتبرته ضعة وخسة ونزولاً عما ينبغي أن تكون عليه، فأساءت بهذا الفهم واعتقدت أن الحياة دائماً ستكون لها كما تريد، فتختال على الناس وتطمئن إلى الكبر. وكما تنعزل عنهم يبتعدون عنها دائماً فإذا زالت نعمتها ومسها الشر لا تجد عاصماً لنفسه، ولا صديقاً يؤنسه فقد أفقده كبره الأخ والصديق.

إن التواضع الذي يبتغيه الإسلام في الإنسان اعتدال وعدل في التعامل وبشر وبر بالناس. فإذا أنعم الله بالخير، بان الشكر في الرفق بالإنسان والإحسان إليه والعمل الصالح الذي يظهر أثره في الصالح العام. وإذا مسه الشر صبر، والصبر يؤدي إلى حسن العمل على دفع الضر.

إن التواضع لله استشعار خشيته تعالى وأنه فوق كل متكبر وأنه الكبير المتعال، ومن تواضع لله وامتلأ قلبه بهيبته سبحانه، كان بالناس رحيماً وعلى نفعهم والإحسان إليهم مقيماً.

والتواضع مع الناس لين في الجانب وألفة ترفع الحواجز النفسية التي قد تصنعها فوارق المال أو العلم أو الحسب أو النسب فيرتفع الإنسان بإنسانيته إلى من يفوقه في كل هذا أو في بعضه، لنزوع هذا إلى أن تكون الإنسانية معيار

(١) الآيتان ٨٣ و٨٤ من سورة الإسراء.

الأخوة والتعامل، لأنها صنع الله الذي أتقن كل شيء، والذي يذكرنا دائمًا بهذه الإنسانية فيقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[1]

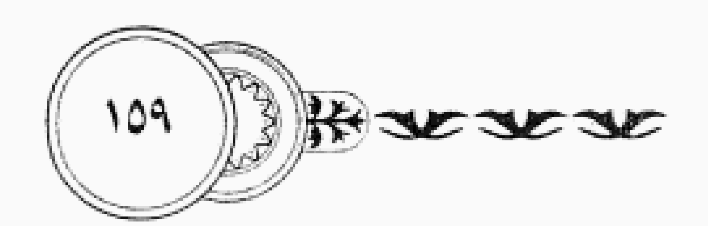
ومن هنا، كان على كل منا في موقعه أن يتعامل بتواضع، وأن يعرف لكل إنسان حقه؛ فيرحم الضعيف ويشفق على الصغير ويخدم الكبير ويوقر الرئيس والكبير.

فليس التواضع إخلالاً بما يجب أن يكون من توقير وتراحم، وإنما هو معرفة بهذه الواجبات وأداء لها عن اقتناع، لا عن قسر وقسوة.

التواضع هو خلق الإسلام، وفيه ترويض للنفس على الصبر وعلى الاصطبار؛ فهو وسيلة تهذيب وتربية لمن تطغى نفسه أو ينزع به شيطانه إلى ازدراء الآخرين والتعالي عليهم.

---

(١) الآية ١٣ من سورة الحجرات.



حق الجوار في الإسلام

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن»، قيل: من يا رسول الله؟ قال: «من لا يأمن جاره بوائقه» قالوا: وما بوائقه؟ قال: «شره»[2].

في هذين الحديثين الشريفين - وغيرهما - تأكيد على أهمية السلم والسلام بين الجيران، طلبا لأن تسود المودة والتعاون على البر والتقوى بينهم.

ففي الحديث الأول، اعتبر النبي ﷺ من علامات الإيمان بالله واليوم الآخر كف المرء المسلم نفسه عن أذى الجار؛ فلا يتم إيمان المسلم ولا يكمل إلا إذا كف نفسه عن إيذاء جيرانه في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

وفي الحديث الآخر، تأكيد على هذا المعنى بأسلوب يشد انتباه السامع والقارىء، وهو في ذاته أسلوب فريد في التربية والتوجيه؛ حيث أقسم الرسول ﷺ بقوله: «والله لا يؤمن» ثلاث مرات دون أن يذكر ملامح هذا الذي يقصده بهذا القسم حتى إذا ما استجمع جلساؤه مشاعرهم وفكرهم وتخلصوا من شواغلهم وأيقظوا وجدانهم كشف لهم عن سمة هذا الذي يقصده من الناس إنه هو الذي «لا يأمن جاره بوائقه» أي شره وأذاه، ولقد كان أسلوب الخطاب مؤثرا حتى دفع الصحابة الحاضرين فزعا من نفي الإيمان عمن قصده الرسول ﷺ في حديثه واستعجلوا وصفه فقالوا: خاب وخسر في الدنيا والآخرة.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

هذان الحديثان وغيرهما يدلان على مدى عناية الإسلام بالسلام الاجتماعي بين الناس واستمرار المودة والتعاون في البيئة، فبدأ بالجيران، أي بالمجتمع الصغير القريب المتقارب، لأن الأمن والأمان فيما بينهم أمر ينبني عليه تيسير سبل الناس في أمور معاشهم وأسباب حياتهم، ويؤكد أن الأمن يجب أن يكون مكفولا للناس في المسكن والمصنع والمزرعة والمكتب والجامع والجامعة والشارع وفي المواصلات وسائر الأعمال؛ حيث تقتضي أساليب الحياة والعمل في كل ذلك اشتراك الناس على اختلاف ثقافاتهم وألوانهم في ركب الحياة، ولا مفر من ذلك لأن الإنسان مدني بطبعه، فإذا لم يتوفر هذا الأمن لسائر المتعاملين في سوق الحياة والساعين في أسباب الوجود، اضطربت أمور الناس ومعايشهم.

وحق الجوار من الحقوق التي عُنِيَ الإسلام بإقرارها وإيضاح معالمها للناس جميعًا حتى تسود المحبة والتعاون بين الجيران في السراء والضراء، وتكون صورة المجتمع الإنساني ونظامه في التعايش بين أفراده مستندة على المنطق والأخلاق وعلى مبدأ: "حب لأخيك ما تحب لنفسك واكره له ما تكرهه لها".

وإذا كان هذان الحديثان الشريفان قد نبها إلى ضرورة كف الأذى عن الجيران، فهما بالتالي يأمران بالإحسان إليهم والمودة معهم.

وإذا كانا قد نفيا الإيمان الكامل عن كل إنسان لا يرعى حق الجوار، بل يتسلط عليهم حتى يملأ قلوبهم خوفًا ورعبًا من شروره. فإن هذا يدل على مدى أهمية حق الجوار.

ولقد أكد القرآن الكريم على هذا الحق في وصاياه؛ ففي سورة النساء قال تعالى:

﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾[1]

إن الإسلام إنما ينمي الوازع الديني في قلوب المسلمين حتى يكون عاصماً لها من الخطأ وارتكاب المحرمات، وهو بهذا يحقق للناس الأمن في الجوار؛ فعلاقات الجوار تتداخل وتتقارب وتدوم، والجار السوء له من الفرص ما يطلع فيها على العورات والأسرار، فإذا ما تلبسه الوازع الديني كان فيه الضمان الكافي لإقامة جوار يسوده الأمن والأمان والصفاء.

وليس حق الجوار منحصراً في كف الأذى، بل أرشدت السنة الشريفة إلى أن للجار حقوقا إيمانية على جاره. ففي السنة عن أنس رضي الله عنه: «ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم»[2].

هكذا أخذ الإسلام بيد الناس إلى المثل العليا في التعاون والتعاطف وصولاً بهم ليكونوا كما أوصاهم:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[3]

---

(١) الآية ٣٦ من سورة النساء.

(٢) رواه الطبراني.

(٣) الآية ١١٠ من سورة آل عمران.

الرحمة

الرحمة شيء في الطبيعة، يجعل المرء يرق لآلام الخلق. وهي في أفقها الأعلى صفة المولى تباركت أسماؤه؛ فإن رحمته شملت الوجود وعمت الملكوت:

((رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ))(١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه»(٢). وكثير من أسماء الله الحسنى ينبع من معاني الرحمة والكرم والفضل والعفو، وقد جاء في الحديث القدسي: «إن رحمتي تغلب غضبي»(٣).

وما نرى في الأرض من تواد وبشاشة وتعاطف، وبر، إنما هو أثر من رحمة الله التي أودع جزءاً منها في قلوب الخلائق. ولقد أراد الله أن يمن على العالم برجل يمسح آلامه ويخفف أحزانه ويستميت في هدايته ويأخذ بناصر الضعيف ويقاتل دونه قتال الأم عن صغارها، فأرسل محمداً عليه الصلاة والسلام، وسكب في قلبه من العلم والحلم، وفي خلقه من العطف والبر، وفي طبعه من السهولة والرفق وفي يده من السخاوة والندى، فجعله أزكى عباد الله رحمة وأوسعهم عاطفة وأرحبهم صدراً، ولذلك قال فيه:

---

(١) من الآية ٧ من سورة غافر.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي والبيهقي.

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[1]

ولقد لازمته هذه الفضائل العذبة في أعصب الساعات عندما حاول المشركون في غزوة أحد اغتياله؛ فنظر إلى زهرة أصحابه، فوجدهم مضرجين بدمائهم على الثرى، وقيل له في هذه الأزمة: ادع على المشركين. فغلبه رفقه ورحمته فكان دعاءه: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»[2].

وقد أمر الإسلام بالتراحم العام وجعله من دلائل الإيمان الكامل، فالمسلم يلقى الناس وفي قلبه عطف وبر يوسع لهم ويخفف عنهم جَهْدَ ما يستطيع. قال رسول الله ﷺ: «لن تؤمنوا حتى ترحموا»، قالوا: يارسول الله كلنا رحيم. قال: «إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة عامة»[3].

وقد تواترت الأحاديث الحاثة على هذه الرحمة الشاملة فقال رسول الله ﷺ: «من لايرحم من في الأرض لا يرحمه من في السماء»[4]، وقال: «طوبى لمن تواضع في غير منقصة، وذل في نفسه من غير مسكنة، وأنفق مالا جمعه في غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، ورحم أهل الذلة والمسكنة»[5].

---

(١) الآية ١٥٩ من سورة آل عمران.

(٢) رواه أحمد وابن أبي شيبة وأبونعيم.

(٣) رواه الطبراني.

(٤) رواه الطبراني.

(٥) رواه البيهقي.



والإسلام رسالة خير وسلام، وعطف على البشر كلهم، وقد قال الله لرسوله:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[1]

وسور القرآن الكريم مفتتحة كلها بـ «بسم الله الرحمن الرحيم». وقد تأخذ الرحمة الحقة طابع القسوة؛ وليست كذلك، قال الشاعر:

فقسا ليزدجروا ومن يك راحمًا ∴ فليقس أحيانا على من يرحم

فالطبيب عندما يجري جراحة بالجسم ويستخدم مبضعه لتمزيق اللحم وبتر الأعضاء، ما يفعل ذلك إلا رحمة بالمريض.

والأولاد الذين يُزجَرون على حفظ دروسهم، فإنه لنجاحهم في الحياة، ولو تُركوا لأهوائهم لقتلهم اللهو واللعب ولشبوا لا يحسنون صنعًا.

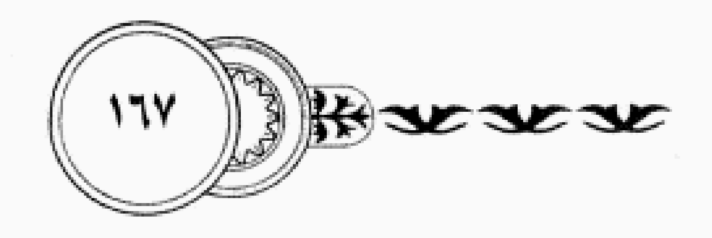
فليست الرحمة حنانًا لاعقل له أو شفقة تتنكر للعدل والنظام، وإنما هي عاطفة ترعى هذه الحقوق جميعًا. أما القسوة التي استنكرها الإسلام فهي جفاف في النفس لا يرتبط بمنطق ولا عدالة؛ إنها نزوة تتشبع من الإساءة والإيذاء.

وأما الرحمة، فهي أثر في الجمال الإلهي الباقي في طبائع الناس يحدوهم إلى البر، ويهب عليهم في الأزمات الخانقة ريحًا طيبة تنعش الصدور.

ولقد نبه الإسلام إلى أن هناك أقوامًا مخصوصين ينبغي أن يحظوا بأضعاف من الرحمة والرعاية، من هؤلاء ذوو الأرحام، والرحم مشتقة من الرحمة في مبناها، فيجب أن تستقيم معها في معناها، وعلى المسلم أن يؤدي حقوق أقربائه، وأجدر الناس بجميل بره وأولاهم به هما والداه، قال تعالى:

---

(١) الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء.



﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[1]

ثم أولاده، فعن البراء رضي الله عنه قال: أتى أبوبكر عائشة، وقد أصابتها الحمى، فقال: كيف أنت يابنية؟ وَقَبَّلَ خَدَّها.

وعن أبي هريرة قال: قَبَّلَ رسول الله الحسن أو الحسين بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ماقبلت منهم أحدا قط. فنظر إليه رسول الله وقال: «من لايرحم لايرحم»[2]، وفي رواية: «أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك».

وممن تجب الرحمة بهم اليتامى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه فقال: «امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين»[3].

ومن الرحمة المطلوبة الرفق بالحيوان، رأى عمر رضي الله عنه رجلاً يسحب شاة برجلها ليذبحها، فقال: «ويلك. قدها إلى الموت قوداً جميلا».

وقال رجل: يارسول الله، إني لأرحم الشاة أن أذبحها. فقال ﷺ : «إن رحمتها رحمك الله»[4].

وقال رسول الله ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»[5].

---

(١) الآية ٢٤ من سورة الإسراء.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه أحمد والطبراني.

(٤) رواه أحمد والطبراني.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

إفشاء السلام

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا. أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[١].

إن الإسلام دين الله الذي أرسل به رسوله محمداً ﷺ، جاء موجهاً للإنسانية ومعلماً حتى يعيش الناس في سلام مع أنفسهم، تجمعهم أواصر المحبة والصفاء، فلا تحاسد ولا تباغض ولا تدابر. فكان شرع الله لعباده التحية عند اللقاء وعند الفراق. واشتق الإسلام للمسلمين تحية من طبيعته فكانت «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، فهذا هو القرآن الكريم يحث المسلمين على حسن اللقاء والتحية فيقول الله سبحانه:

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾[٢]

ويوجه القرآن كذلك إلى آداب الزيارة ودخول المنازل فيقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[٣]

---

(١) رواه مسلم.

(٢) الآية ٨٦ من سورة النساء.

(٣) الآية ٢٧ من سورة النور.

ويقول:

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[1]

يفسر لنا رسول الله ﷺ في هذا الحديث الشريف وسيلة من وسائل زرع المحبة في المجتمع وربطه برباط المودة والألفة والأمن والأمان. ويدلنا بتسلسل منطقي على طريق من طرق مرضاة الله؛ فيرشدنا إلى أن الإيمان طريق إلى الجنة، وأن المحبة بين الناس من عناصر الإيمان، ثم يدلنا على وسيلة أكيدة لشيوع المحبة، تلك هي إفشاء السلام. وهو في حديث آخر يؤكد لنا هذا المعنى فيقول في الحديث المتفق عليه الذي رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما حيث سئل ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف». وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) الآية ٦١ من سورة النور.

فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك. فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. فزادوه ورحمة الله»[١].

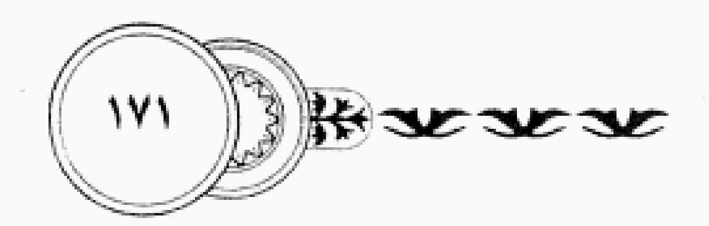
هذه الآيات وتلك الأحاديث تدل على أهمية السلام بين المسلمين، ذلك لأن هذه التحية المباركة تجمع القلوب وتدعو إلى التآلف والمحبة. وقد شرع الإسلام السلام على من عرفت ومن لم تعرف وعلى الصغير والكبير والغني والفقير والشريف والوضيع؛ فالكل في نظر الإسلام سواء.

لكن، لماذا اختار الإسلام التحية "بالسلام" معرضاً عما كان قد تعارفه العرب قبل الإسلام من "عم صباحا وعم مساء" ويرفض ما يقوله بعض المسلمين، مثل: "مساء الخير وصباح الخير"؟ إن اختيار الإسلام التحية "السلام.." لأنها لفظ صالح فيه الأمان والسلامة. وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: إن مما يصفي لك ود أخيك أن تبدأه بالسلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحب الأسماء اليه، وأن توسع له في المجلس. وهناك آداب للسلام يحسن بالمسلمين اتباعها من وصايا رسول الله ﷺ فيسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير وإذا حال بين المسلم ورفيقه حائل من شجر ومن بناء أو فارق المجلس ثم عاد إليه، كان عليه أن يبدأ بالسلام، فقد أوصى بذلك رسول الله ﷺ في قوله: «إذا لقي أحدكم أخاه، فليسلم عليه. وإذا حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه، فليسلم عليه»[٢]. ومن الإسلام أن يسلم الرجل إذا دخل بيته، ذلك قول الله سبحانه:

---

(١) رواه الجماعة.

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه والبيهقي.

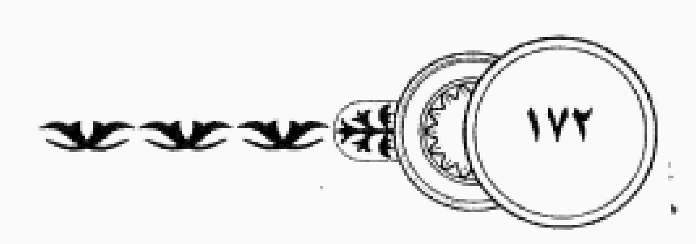


الله ﷺ في قوله: «إذا لقي أحدكم أخاه، فليسلم عليه. وإذا حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه، فليسلم عليه»[1]. ومن الإسلام أن يسلم الرجل إذا دخل بيته، ذلك قول الله سبحانه:

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَـٰلَـٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[2]

وفي وصية رسول الله ﷺ لأنس قال: «يابني إذا دخلت على أهلك فسلم باليد بركة عليك وعلى أهلك»[3]، والمرأة تلقي السلام وتتلقى السلام من الرجال متى أمنت الفتنة، فقد صح أن النسوة كن يلقين السلام على الرجال في عهد النبي ﷺ،

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والبيهقي.
(٢) الآية ٦١ من سورة النور.
(٣) رواه الترمذي والبيهقي.



وكذلك الرجال يلقون السلام على النساء، قالت أسماء بنت يزيد رضي الله عنها: مر علينا النبي ﷺ في نسوة فسلم علينا.

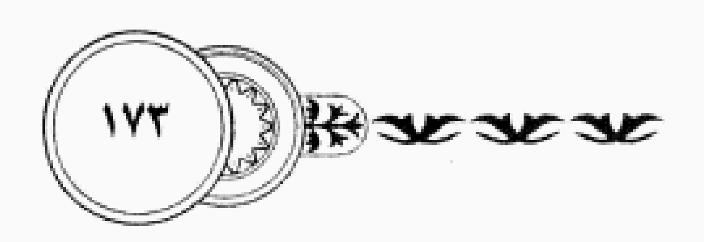
هذه تحية الإسلام، ما أحوجنا أن نتمسك بها وأن نعلمها أبناءنا وبناتنا حتى ينشأوا مستمسكين بها وحتى ينتهوا عن ترديد بعض الكلمات الأجنبية التي وفدت على مجتمعنا. إن لكل أمة خواص تمتاز بها وتعرف حتى لا تذوب في غيرها وتفقد بذلك كيانها. وكان مما اختص الله به المسلمين التحية بينهم بالسلام، فلنتمسك بما شرعه الله ولا نتهاون في العمل به:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ ﴾[1]

صدق الله العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

---

(١) الآية ٩ من سورة الإسراء.



الحياء

الخير والشر معان كامنة تُعرف بسمات دالة عليها؛ فسمة الخير الدعة والحياء، وسمة الشر القحة والبذاء. وكفى بالحياء خيراً أن يكون على الخير دليلاً وكفى بالقحة والبذاء شراً أن يكون إلى الشر سبيلاً.

وقد رُوي أن رسول الله ﷺ قال: «الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار».[1]

وقال بعض الحكماء: من كساه الحياء وتوَّجه لم ير الناس عيبه. والحياء في الإنسان يكون من ثلاثة أوجه؛ أحدها: حياؤه من الله تعالى، والثاني: حياؤه من الناس، والثالث: حياؤه من نفسه. فأما حياؤه من الله تعالى: فيكون بامتثال أوامره والكف عن زواجره، وروى ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «استحيوا من الله عز وجل حق الحياء»، فقيل: يا رسول الله، فكيف نستحي من الله عز وجل حق الحياء؟ قال: «من حفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى، وترك زينة الدنيا، وذكر الموت والبلى، فقد استحيا من الله عز وجل حق الحياء»[2].

وأما حياؤه من الناس: فيكون بكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح، يقول ﷺ: «من اتقى الله اتقى الناس»[3].

وهذا النوع من الحياء قد يكون من كمال المروءة وحب الثناء. ولذلك قيل: من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له. يعني والله أعلم: لقلة مروءته وظهور شهوته.

وروى الحسن عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: «إن مروءة الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه ومجلسه وإلفه وجليسه»[4].

---

(١) رواه الترمذي والبيهقي.

(٢) رواه أحمد في مسنده.

(٣) رواه البيهقي.

(٤) رواه ابن ماجه.

وأما حياؤه من نفسه: فيكون بالعفة وصيانة الخلوات. وقد قال بعض الأدباء: من عمل في السر عملاً يستحي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر.

وهذا النوع من الحياء قد يكون من فضيلة النفس وحسن السريرة. فمتى كمل حياء الإنسان من وجوهه الثلاثة، فقد كملت فيه أسباب الخير وانتفت عنه أسباب الشر. وإن أخل بأحد وجوه الحياء، لحقه من النقص بإخلاله بقدر ما كان يلحقه من الفضل بكماله.

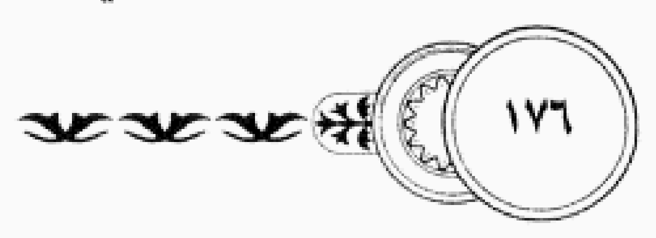
ورُوي عن أبي سعيد الخدري قوله: كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها. وكان إذا رأى شيئا يكرهه، عرفناه في وجهه.

وفي منزلة الحياء من الإسلام، يقول رسول الله ﷺ: «الحياء والإيمان قُرِنَا جميعًا، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر»[1]، وقد رُوي عن رسول الله ﷺ حديث يكشف عن مراحل السقوط في الهاوية يبدأ بضياع الحياء فيقول: «إن الله عز وجل إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء. فإذا نُزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتًا ممقتًا، فإذا لم تلقه إلا مقيتًا ممقتًا نُزعت منه الأمانة، فإذا نُزعت منه الأمانة لم تلقه إلا خائنًا مخونًا، فإذا لم تلقه إلا خائنًا مخونًا نُزعت منه الرحمة، فإذا نُزعت منه الرحمة لم تلقه إلا رجيماً ملعنًا، فإذا لم تلقه إلا رجيماً ملعنًا نُزعت منه ربقة الإسلام»[2].

إن الحياء ملاك الخير ورمز الصلاح والإصلاح.

وقد قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[3].

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم.
(٢) رواه ابن ماجه.
(٣) رواه أبوداود والنسائي.



العودة إلى الله

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني. والله، لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإذا أقبل إلي يمشي، أقبلت إليه أهرول.»[1]

بيان جملي للحديث:

قول الله عز وجل في هذا الحديث «أنا عند ظن عبدي بي» معناه ـ والله أعلم ـ أن المسلم إذا أتى ذنباً فاستغفر تقرباً إلى الله وخشية له، قَبِل الله توبته واستجاب لندائه ودعائه.

وقوله سبحانه: «وأنا معه حيث يذكرني» معناه أن المسلم إذا ذكر الله، كان الله معه بالرحمة والهداية والرعاية والتوفيق والعون.

وقوله: «ومن تقرب إلي شبراً..» أي مقدار شبر، وليس الأمر في هذه العبارة وما بعدها على ظاهره، وإنما الحديث على هذا النسق جاء تقريباً للأفهام بالمحسوس حتى تدركه وتتسابق إلى ذلك، لأن الله سبحانه منزه عن هذه المحسوسات والمسافات. ومقتضى هذه العبارة أن المثوبة من الله على العمل الصالح من المسلم أوفى وأكثر من ذات العمل، فليس جزاء مماثلا وإنما يزيد على المثل ويضاعف سبحانه لمن يشاء.

هذا الحديث القدسي الشريف قد فتح للعصاة الذين اقترفوا السيئات وابتعدوا عن الحسنات، فتح لهم باباً واسعاً من المغفرة والرضوان يتسابقون إليه. وهو من أحاديث الرحمة التي أنزلها الله على عباده، فلقد كانت التوبة ـ أو قبولها ـ في شرع سابق لا تكون إلا إذا قتل المذنب نفسه، قال تعالى:

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾[1]

وهذا الحديث جاء مصدقًا لما قرره القرآن في الدعوة إلى العودة إلى الله والإقلاع عن المعاصي وتجنب المحرمات. ففي القرآن:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[2]

وفيه وصف المتقين التائبين العائدين إلى الله، فهو ينادي ويحث على المسارعة إلى التوبة والمغفرة فيقول:

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[3]

---

(١) الآية ٥٤ من سورة البقرة.
(٢) الآية ٣١ من سورة آل عمران.
(٣) الآيات من ١٣٣:١٣٦ من سورة آل عمران.

أرأيت إلى عفو الله الكريم، حيث يدعو عباده إلى العودة إليه بالاستغفار من ذنوبهم، وبفعل الخيرات التي ساق في هذه الآيات مثلاً منها.

وهكذا، تتضح لنا آفاق هذا الحديث، فكأن الله جلت قدرته يقول لنا: "إن من تقرب إلي بطاعتي تقربت إليه برحمتي فوفقته وأعنته، وإن زاد أو استزاد في الطاعة، زدته رحمةً وتوفيقًا زيادة مضاعفة:

((يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ))[1]

فإن أتاني الإنسان المسلم مسرعًا في طاعتي صببت عليه رحمتي، وكنت بها سابقًا إليه، ولم أحوجه إلى غيري، وكان جزاؤه مضاعفة الجزاء على قدر تقربه مني."

وقد اتفق العلماء على أن التوبة من المعاصي يقبلها الله سبحانه كرمًا منه وفضلاً، حيث عرفنا قبولها بوعد الله حسبما جاءت به نصوص الشرع. ففي القرآن قول الله:

﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾[2]

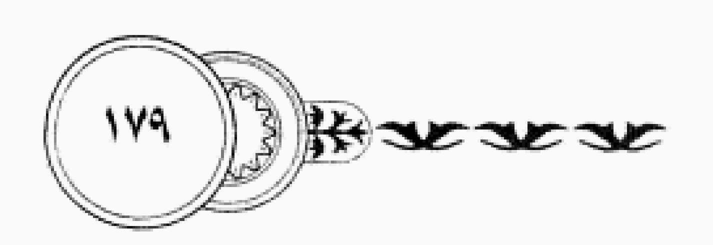
وقوله:

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[3]

وقوله:

﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[4]

(١) من الآية ٢٦١ من سورة البقرة.
(٢) الآية ٣١ من سورة الأحقاف.
(٣) الآية ١١٠ من سورة النساء.
(٤) الآية ٣٩ من سورة المائدة.



وقوله:

﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾(1)

قد وعد الله التائبين السائحين القانتين بالقبول، كما وعد المؤمنين العاملين بالمثوبة وحسن الجزاء. فقال سبحانه:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾(2)

---

(1) الآية ٥٤ من سورة الأنعام.

(2) الآية ١٢٢ من سورة النساء.

صحة البدن نعمة من الله تستوجب الشكر

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ»[1]

وبعد:

فإن هذا الحديث الشريف ينبه الناس إلى نعمتين من أنعم الله على عباده، وهو دعوة كريمة إلى شكرهما والمحافظة على استدامتهما.

أما نعمة الصحة، فالمتبادر أنها صحة الأبدان، وفي هذا جاءت توجيهات الإسلام في القرآن والسنة داعيةً للأخذ بأسبابها وصونها، ففي القرآن قول الله سبحانه في سورة الأعراف:

﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[2]

وهذا دستور ونظام وصّى الله به عباده وأرشدهم إلى إدخال ما يقيم البدن من الطعام والشراب بديلاً لما تحلل منه، وأن يكون بقدر ما ينتفع به البدن في الكيفية والكمية، إذ إنه متى تجاوز الحاجة، كان إسرافًا مانعًا للصحة جالبًا للمرض. وكما أن في التجاوز والبعد عن الاعتدال في الطعام والشراب إضرار بالصحة، ففي الامتناع عن الأكل والشرب عند الحاجة إليهما ذات الأثر، فحفظ الصحة في هاتين الكلمتين «كلوا واشربوا ولا تسرفوا». وبهذا، كانت الصحة والعافية من أجَلِّ نعم الله على عباده وأجزل عطاياه، بل إن العافية المطلقة من أجَلِّ النعم على الإطلاق.

---

(١) رواه البخاري والترمذي وابن ماجه.

(٢) الآية ٣١ من سورة الأعراف.

فهذه دعوة من رسول الله ﷺ إلى المحافظة على الصحة وأن لا يغفلها المسلم، بل عليه أن يتبع توجيهات الإسلام ووصاياه. وخليق بمن يرزقه الله حظًا من العافية والصحة أن يرعاها ويحافظ عليها وأن يحميها مما يضر بها في نطاق هذه القاعدة الجامعة النافعة من القرآن «كلوا واشربوا ولا تسرفوا».

ولعل من قال من السلف في قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾[1]

قال: عن الصحة. لعل له سندًا في أقوال رسول الله التي سبق رواية بعضها. وقد روى الإمام أحمد رضي الله عنه مرفوعًا: «سلوا الله اليقين والمعافاة، فما أوتي أحد بعد اليقين خيرًا من العافية»[2]. فجمع بين عافيتي الدنيا والدين، إذ لا يتم صلاح حال المسلم في الدارين إلا باليقين والعافية. فباليقين، يندفع عنه عذاب الآخرة، وبالعافية تندفع عنه أمراض الدنيا في قلبه وفي بدنه.

أرأيتم أن الصحة نعمة مهداة من الله لا تدانيها أية نعمة أخرى، فهي منة تستوجب شكر المنَّان الحليم الذي يعطي ويرزق من يشاء بغير حساب.

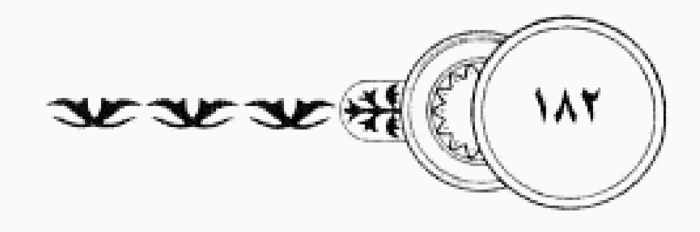
هذا، ولا يقعدن مريض عن التداوي وطلب الدواء. ففي حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لكل داء دواء، فإذا أصاب دواء الداء بَرِىء بإذن الله تعالى»[3].

والفراغ الذي عده الرسول ﷺ في حديث الباب نعمة، ليس الفراغ المتبادر إلى الذهن وهو ترك الأعمال المفيدة المجدية نفعًا للعامل وللمجتمع، إذ إن الفراغ

(١) الآية ٨ من سورة التكاثر.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ج ٧ص ٢٠٨.

(٣) رواه مسلم وأحمد في مسنده.



بهذا المعنى في ذاته مفسدة أي مفسدة، لكن الفراغ المعني في الحديث الشريف ـ والله أعلم ـ انشغال المسلم بمراقبة ربه في كل ما يأتي من أعمال وما يترك، وتفرغه لما يفيده في دينه ودنياه وفراغ قلبه وعقله عن نزغات الشيطان ووساوسه وتحصنه منه بالانصراف إلى العمل مخلصًا لله الدين، ففراغ الباطن من الغل والحقد والحسد، وعمارته بالإخلاص وتقوى الله، والمودة والمحبة لعباده المؤمنين نعمة لا يلتفت إليها كثير من الناس، إذ هي من النعم المستورة. نسأل الله أن يتم علينا جميعًا نعمته ويفيض علينا من آلائه وعطائه الذي لا ينفذ، وأن يهدينا إلى الوفاء بحقه شكرًا وحمدًا لنعمائه، فهو سبحانه ذي الطول المنعم لا إله إلا هو المعطي الوهاب.

من طرائق الإسلام في التربية والإصلاح

قال أبو رفاعة: انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب فقلت: يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه. قال: فأقبل عليَّ رسول الله وترك خطبته حتى انتهى إليَّ، فأتى بكرسي حسبت قوائمه حديداً. قال: فقعد عليه رسول الله ﷺ وجعل يعلمني مما علمه الله، ثم أتى خطبته فأتم آخرها.(١)

هذا هو رسول الله ﷺ يقود المصلحين المسلمين إلى أنجح الطرق وأقومها للوصول إلى غايتهم في الإعلام بأحكام الإسلام وإصلاح المجتمعات الإسلامية. فقد اهتم الإسلام بتربية الإنسان منذ ولادته وتعهده بالإرشاد والتوجيه إلى أفضل الخصال. في فترات حياته المتعاقبة، لأن الإنسان دائمًا في حاجة إلى تهذيب وتربية ـ كما قيل ـ من المهد إلى اللحد.

والإسلام في تربيته للمسلمين إنما يتبع طريق التربية الدائمة المستقرة المبسطة التي لا تكلف فيها أو تعمق، وقد جاءت تعاليمه بالدواء المناسب لكل داء.

وهذا الحديث الشريف يدلنا ـ كما قال النووي رحمه الله ـ على تواضع رسول الله ﷺ ورفقه بالمسلمين وشفقته عليهم، ومبادرته إلى جواب المستفتي حتى يعلم ويتعلم ما يجهله من أمور دينه. وذلك ما يجب على علماء المسلمين أن يبادروا إليه اقتداءً برسول الله عليه الصلاة والسلام، فقد ترك خطبته ومكانه ونزل إلى حيث قعد هذا المستفتي، وما زال به حتى علمه ما سأل عنه من أمور الإسلام.

ومن رحمة الرسول في التربية والتعليم أنه كان رفيقًا بصاحب الحق بغض النظر عن لونه وجنسه ودينه، فقد جاءه أحد اليهود يتقاضى دنانير كان قد أقرضها الرسول ﷺ، فلما طلبها قال له الرسول: «يا يهودي ما عندي ما أعطيك»، فقال اليهودي: فإني لا أفارقك يا محمد حتى تعطيني. فقال رسول الله ﷺ: «إذًا

(١) رواه مسلم.

أجلس معك»، فجلس معه الرسول ﷺ الظهر والعصر والمغرب والعشاء. فتوعد الصحابة اليهودي وقالوا: يا رسول الله يهودي يحبسك؟ فقال: «منعني ربي أن أظلم معاهداً أو غيره»، ولما كانت الغداة، قال اليهودي: يارسول الله، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، وشطر مالي في سبيل الله. أما والله ما فعلت بك الذي فعلت إلا لأنظر إلى نعتك بالتوراة: محمد بن عبدالله، ومولده بمكة، ومهاجره بطيبة، وملكه بالشام، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا متزين بالفحش ولا قول الخنا. أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وهذا مالي فاحكم فيه بما أراد الله. وكان اليهودي كثير المال[1].

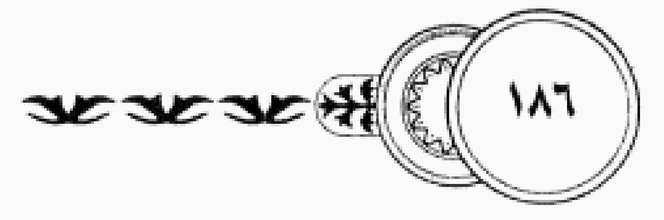
ولعلنا نلمس من هذه الواقعة مدى رحمة الرسول ﷺ ومعاملته للناس المعاملة الحسنة، ولعلنا ندرك ماذا كان يحدث أو يقال لو أن الرسول قابل قول ذلك اليهودي ومطالبته بدينه بالشدة أو مكّن الصحابة من صده بالضرب أو الإيذاء. هل لو كان ذلك، كان هذا اليهودي دخل في الإسلام؟ أو أنبأ بدلائل النبوة الورادة في التوراة؟

وقدوتنا رسول الله ﷺ في طريقه في تعليم الجاهل وإرشاده بالرحمة واللين دون قسوة أو إساءة. نرى ذلك واضحًا حين بال أعرابي في المسجد، فانتهره الناس، فنهاهم رسول الله ﷺ وقال: «اتركوه»، حتى إذا ما انتهى الرجل من بوله دعاه ﷺ وقال له برفق: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا القذر، إنما بنيت للصلاة والذكر والدعاء»، ثم قال للناس: «إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل له راحلة انفلتت منه، فذهب الناس في طلبها شرعًا من كل جانب فلم يزدها ذلك إلا نفوراً، فقال صاحبها للناس: دعوني وراحلتي. فلم يزل يناديها، ويأخذ من نبات الأرض ليعطيها، فلم يزل كذلك حتى أخذ بزمامها»[2].

---

(١) رواه البيهقي.

(٢) رواه مسلم.



ومن طرق التربية الفاضلة والتوجيه الرشيد الذي سلكه رسول الله ﷺ أنه ما كان يذكر من أخطأ باسمه، وإنما ينهى عما فعل وارتكب من إثم بقوله للناس: «ما بال أقوام يفعلون كذا.. وكذا». ونستفيد في سلوكنا ومعاملتنا أمرين من هذا الصنيع؛ أولهما: أن من أخطأ يعرف خطأه فيرجع عنه دون أن نشهر به بين الناس وعلى ملأ من الأشهاد، فيتحرج، وربما يدفعه هذا إلى الاستمرار في هذا الفعل السيىء الذي ارتكبه. والأمر الآخر: إظهار الحكم الشرعي للجميع في ذلك الأمر، وهو المقصود أصلاً، إذ لا بد أن يعرف الحكم كل فرد من الحاضرين على نحو قول الرسول ﷺ في مثل هذا: «ما بال رجال يشترطون شروطًا ليست في كتاب الله؟»[1]، وقوله: «ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله وأكثرهم له خشية»[2].

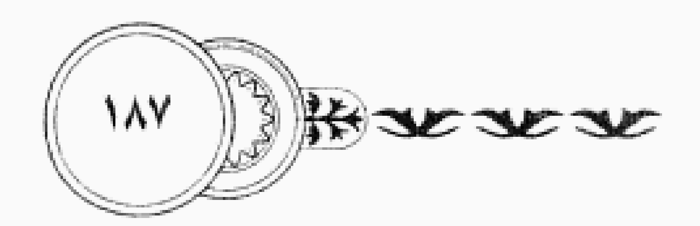
ومن هذا القبيل أيضًا ما روي أن واحدًا من عمال جمع الصدقات جاء فقال: هذا لكم وهذا أهدي إليَّ. فقام رسول الله ﷺ وصعد المنبر وحمد الله وقال:

«أما بعد: فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول: هذا لكم، وهذا هدية أهديت إلي. أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقًا؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئًا بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة»[3].

وهذا الحديث يوجه المسلمين إلى مسألة عامة وليست حكمًا خاصًا، فهو يقول لولاة الأمر والقائمين على أموال المسلمين أو ما نسميه بالمال العام: إن هذه الأموال ليست حقًا لمن يجمعها، كما أنها ليست حقًا خالصًا لولي الأمر لكي

---

(١) رواه الجماعة.
(٢) رواه الجماعة.
(٣) رواه الجماعة.

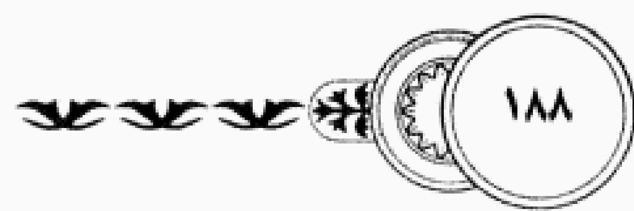


يتسامح فيها، وإنما هي للمسلمين جميعًا. ومن ثم، وقف رسول الله ﷺ موقفًا حازمًا ليرتدع المخطىء عن خطئه وليكون عبرة لغيره من العاملين والمسئولين. فلا يعمد أحد إلى الانتفاع بموقعه في العمل واستغلال وظيفته باستهداء الناس والمتعاملين معه. أرأيتم كيف تنوعت تربية الرسول للناس وإصلاحه لأخطائهم.

نعم:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾(١)

(١) الآية ٢١ من سورة الأحزاب.



الخمر رجس من عمل الشيطان

قال الله سبحانه في سورة البقرة:

﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾[1]

وقال تعالى في سورة الأعراف:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[2]

والقرآن بهذه القواعد العامة لم يدع سبيلاً إلى الخير إلا أرشد إليه ولم يترك طريقا إلى الشر إلا حذر منه، وهذا ما أجمله رسول الله ﷺ في قوله: «ما تركت شيئًا يقربكم إلى الله تعالى إلا وقد أمرتكم به ولا شيئًا يبعدكم عن الله تعالى إلا وقد نهيتكم عنه»[3]، ومن هذه "الخبائث" التي حرمها الله سبحانه الخمر محافظةً

---

(١) الآية ١٩٥ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١٥٧ من سورة الأعراف.

(٣) رواه ابن ماجه عن أبي مالك الأشعري وصححه ابن حبان وله أصل في صحيح البخاري.

على عقل الإنسان باعتبار أن المحافظة على العقل إحدى الضروريات الخمس التي اعتبرها الإسلام مصالح ضرورية لحياة البشر وخيرهم.

ذلك لأن العقل هو حارس الإنسان وقائده والموجه لسلوكه، فكان لزامًا الحفاظ عليه وتحريم كل ما ينتقص من قدراته أو يعطلها. ومن ثم حرم الإسلام الخمر.

ولا خلاف بين الفقهاء في أن كل مسكر محرم، وقد ذهب جمهور الفقهاء والمحدثين إلى أن كل مسكر خمر وكل خمر حرام، ولقد روى مسلم وأحمد وأبو داود حديثًا بهذا اللفظ عن رسول الله ﷺ، وروى البخاري ومسلم قول عمر رضي الله عنه في خطبة له: والخمر ما خامر العقل.

وشرب الخمر من الكبائر المنهي عن تعاطيها بالكتاب والسنة والإجماع، وآخر آية نزلت في شأنها حاسمة قاطعة في تحريمها قول الله سبحانه في سورة المائدة:

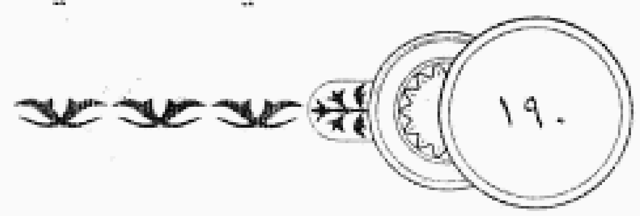
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[1]

ومن حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «الخمر أم الخبائث»[2]، وعنه أيضًا عند البخاري: «الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر، ومن شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على أمه وخالته». وروى الترمذي عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله في الخمر عشرة: عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقيها، وبائعها، وآكل ثمنها، والمشتري لها، والمشترى له».

---

(١) الآيتان ٩٠، ٩١ من سورة المائدة.

(٢) رواه النسائي والطبراني.



فالخمر - أم الكبائر - تحيط بها لعنات الله من كل جانب، فتصيب كل من يتصل بها من قريب أو بعيد باللعنة فتنزله منازل سخط الله وغضبه.

ولقد أجمعت الأمة على تحريمها وصارت حرمتها حكمًا معلومًا من الدين بالضرورة؛ إذ هي تورث العداوة والبغضاء وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة وتذهب العقل والمال وتدفع الناس إلى ارتكاب الجرائم وانتهاك الأعراض. فمن ثم؛ إن شارب الخمر يهين نفسه ويذلها ويضعها في موضع السخرية. والخمر نجسة العين ولا يحل الانتفاع بها ولا بثمنها، وحين قرن الله الفلاح باجتناب الخمر بيَّن لنا أن التقدم والفلاح لا تصنعه إلا العقول السليمة ذات الأفكار السوية، وأن التأخر والعداوة والبغضاء إنما يصاحبون الخمر التي هي فوق ذهابها بالعقل مفسدةٌ للجسم، وهي وإن أحدثت نشوةً وقتيةً تتبعها غاشية تلحق شاربها بفاقدي العقول من المعتوهين والمجانين في سوء الحال والمآل.

وقد يكون هؤلاء موضع شفقة الناس ورحمتهم، بينما السكارى يصبحون موضع السخرية والاستهزاء، إن شاربي الخمر يفقدون أقدارهم في المجتمع وينفقون أموالهم فيما يضر ولا يسر.

ألا فليعلم هؤلاء المتجرون في الخمور والصانعون لها والمروجون لتعاطيها أنهم لم يحسنوا إلى أنفسهم صنعًا، وأنهم أساءوا إلى أمتهم في دينها وأخلاقها واقتصادها، وأنهم مسئولون عن كل ذلك أمام الله، وأن الكسب منها حرام لا يباركه الله ولا ينميه، وإنما يسلط على شاربيها وتجارها ومروجيها الكروب والخطوب والأمراض والقلق والاضطراب. إن هؤلاء الذين اتبعوا الشهوات وأعرضوا عن أوامر الله، هؤلاء الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله وزين لهم تناول المسكرات، فأنفقوا فيها أموالهم وأضاعوا أنفسهم وأسرهم، قد أوقعوا أنفسهم في الذلة والمهانة، وليقارنوا بين حالهم حين السكر وبين حالهم

حين الإفاقة، لاشك سيظهر لهم أنهم في هذه من بني الإنسان ذوي العقول والكرامة وفي الحالة الأخرى قد فقدوا كل هذه الميزات الإنسانية، بل وصاروا في ضعف وبلاء وضيق وكدر وشقاء.

لنحرص ـ نحن المسلمين ـ على الالتزام بحكم الله أفراداً ومجتمعات، ولنعمل على صون حياتنا الاجتماعية من مهاترات السكارى وكوارثهم، ولنعلم أن الوقاية خير من العلاج، قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(١)

وقال سبحانه:

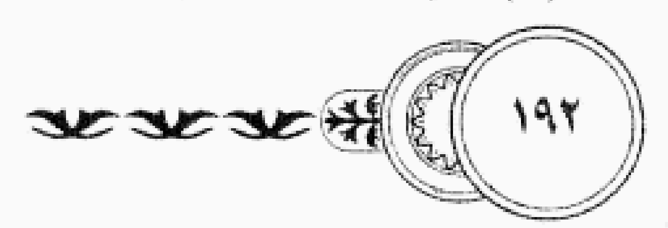
﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾(٢)

ولنؤمن بأن الخمر وكل مسكر مهما كان اسمه من الكبائر المحرمة في الإسلام.

---

(١) من الآية ٥٠ من سورة المائدة.

(٢) الآية ١٥٧ من سورة الأعراف.



ولقد حذرنا رسول الله ﷺ من شرب الخمر بوصفها مسكراً، مهما تعددت أسماؤها فقال: «يشرب ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها، يضرب على رؤسهم بالمعازف والقينات ويخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم القردة والخنازير»[١]. ومن ثم فلا يغترن أحد بالأسماء التجارية التي تعرض بها الخمور، فكلها مسكرات.. قليلها وكثيرها حرام قطعا، وهي مفتاح كل شر كما جاء في الحديث الشريف. تلك خمر الدنيا.. مليئة بالأكدار والأضرار بالجسم وإتلاف الأموال للفرد وللأمة.

أما خمر الجنة فقد أبان القرآن صفاءها ونقاءها وطهارتها، قال تعالى:

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[٢]

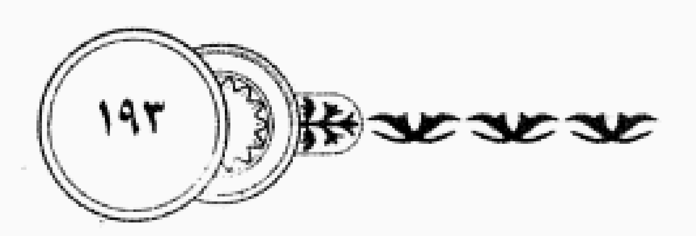
كما قال سبحانه:

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾[٣]

(١) رواه ابن ماجه عن أبي مالك الأشعري وصححه ابن حبان وله أصل في صحيح البخاري.

(٢) الآيات من ٤٠:٤٧ من سورة الصافات.

(٣) الآية ١٥ من سورة محمد.



﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾(1)

هذه الآيات تبين الفروق بين خمر الدنيا وخمر الجنة، فهذه الأخيرة نزهها الله عن الأكدار والأضرار فلا تحدث صداعًا ولا أوجاعًا في البطن وغيرها من أعضاء الجسم ولا تذهب بالعقل، وهي بيضاء لونها مشرق بهي، وطعمها طيب كلونها، وطيب الطعم دليل على طيب الريح.

ففي الجنة تلك الأنهار الجارية من اللبن والعسل والخمر التي لا غول فيها؛ أي لا تؤثر في البطن بالآلام والأوجاع:

﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾(2)

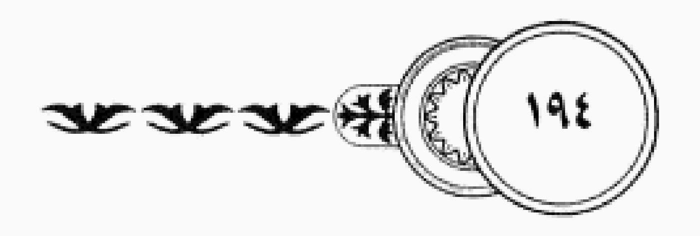
أي لا تذهب بالعقول، أما خمر الدنيا فهي كريهة المنظر والطعم والرائحة، حيث تتفاوت ألوانها بين حمرة أو سواد أو اصفرار أو كُدُورَة، وشتان بين صنع الإنسان وصنع الرحمن.

فهل للناس أن يؤمنوا بأن الخمر رجس من عمل الشيطان، ويقلعوا عن تعاطيها والاتجار فيها مهما كانت أسماؤها أو سماتها؟ ترقبا لرضوان الله ورحمته، وعاجل المثوبة في الدنيا وآجلها في الآخرة جنةً وحريراً، فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

---

(1) من الآية ٨٨ من سورة النمل.

(2) الآية ٤٧ من سورة الصافات.



السنة النبوية
في سياسة النفس الإنسانية

روى الشيخان في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه».

هذا الحديث جامع لمعاني الخير، مرشد إلى نقاء السيرة والسريرة، إذ قد يكون المرء بحال تتعلق بالدين من عبادة ربه واجتهاده فيها، لكنه يجد من إخوانه من هو فوقه في الدأب على العبادة، قواماً لله في تواضع، يخفي أعماله فراراً من الرياء وأملاً في القبول من الله، وعندئذ تطلب نفسه اللحاق بأخيه هذا فيما يعمل من صالح الأعمال رغبة في التقرب إلى الله وطمعا في مرضاته.

والحديث نص واضح في التوجيه إلى السيطرة على النفس في أمور الدنيا، فقد يكون المرء قليل المال، فإذا نظر إلى من دونه وتفكر في ذلك بعين الاعتبار، علم أن نعمة من الله قد غمرته دون غيره من غير سبب ظاهر استوجبه، فيلزم نفسه شكراً لله على آلائه عليه ونعمه التي أسبغها عليه، فيعظم اغتباطه ويستكثر الثواب بالشكر، ويستديم النعم بل ويستزيدها بمعرفة حقها:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[1]

وفي نظر المرء إلى من دونه في النعم حصانة من الحسد، وهو صفة تدفع صاحبها إلى تمني زوال نعمة الله على الغير، تقسو بها القلوب فلا تعرف الرحمة ولا الإحسان، يبتهج بمصائب الغير، إذ لا يحب أن يرى نعمة، بل يرى أنه الأولى والأحق دائماً.

---

(١) الآية ٧ من سورة إبراهيم.

ففي الحديث - الذي سبق ذكره - دواء من داء الحسد إذا نظر الإنسان إلى من فوقه، وذلك بالدعوة إلى النظر إلى من هو أقل منه في ذات النعمة أو في غيرها من أنعم الله عليه.

ولقد روي هذا الحديث بطريق آخر بلفظ: «خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرًا صابرًا: من نظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه، ومن نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به».

وهذا يدل على أن من نظر إلى من هو فوقه في أمور الدنيا، فأسف على مافاته منها، فإنه لايكتب شاكرًا، ولا صابرًا.

كما يدل على أن على المسلم أن ينظر إلى من فوقه في الدين؛ إلى من كان مقبلا على الله، مؤديا الصلاة في مواقيتها، صواما، قواما، تاليا للقرآن، عاملا به، حاملا لواء الدعوة إلى الله بعلمه وعمله، قدوةً حسنةً صابرًا على العبادة في كل صورها.

فإن من نعم الله على هذه الأمة أن جعل لها في كل الأعمال الصالحة ثوابًا، فالسعي على الرزق من طريق مباح فيه ثواب الله ورضوانه، وطلب العلم فيه الأجر الوفير من الله، وإزالة الأذى من طريق المسلمين له ثوابه، وإغاثة المرضى والمعوقين عمل مثاب عليه. وهكذا، إذا نظر المرء إلى من هو فوقه في أداء هذه المكرمات، وصالح العمل، فاستفاد منه واقتدى به، قادته هذه القدوة إلى أفضل مما كان، وجرته إلى الخير الوفير في دينه ودنياه، وعلم أن النعم ليست منحصرة في المال. فقد تكون نعمة الصحة، والطاعة لله خيرًا وأبقى، وقد يكون صفاء النفس وطهارة القلب واليد، والسمعة الطيبة بين الناس من أجَلِّ النعم لمن رزقها، ولكنه لايحس بها.

إن المال غاد ورائح، فمن قدر عليه رزقه فلينظر إلى من هو دونه في المال، إنه إذا فعل قرت نفسه ورضيت، وزال همه وانجاب عنه القلق ولينظر كل منا إلى من فوقه في الدين والتدين ليزداد عمله وحبه وإخلاصه لربه وليكون من الصابرين، وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب.

ذل المسألة

عن أبي بشر قَبِيصةَ بن المخارق قال: تحملت حمالة فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها فقال: «أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها»، ثم قال: «يا قبيصة: إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش (أو قال سدادا من عيش)، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجى من قومه: لقد أصابت فلاناً فاقة. فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش (أو قال سدادا من عيش)، فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتاً»[1].

والحمالة: هي الدية التي يتحملها قوم عن قوم، وقيل هو ما يتحمله المصلح بين فئتين في ماله ليرفع القتال بينهم. والجائحة: الآفة التي تصيب مال الإنسان. والقوام: ما به يعيش الإنسان من مال وطعام ولباس وغير ذلك من لوازم حياته. والسداد: ما يسد حاجة المعوز. والحجى: العقل. والمسألة: هى سؤال الناس أموالهم. والسحت: هو الحرام.

وهذا الحديث دليل على تحريم السؤال، بمعنى طلب المال من الغير دون حاجة، وقد بين الرسول ﷺ المواطن التي يباح فيها سؤال الغير وطلب معونته، وكلها مواطن ضرورة وحاجة، فلا يجوز اتخاذ التسول ـ أي طلب المال من الغير ـ دون ضرورة ملحة، ففي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: «من يستغن يغنه الله ومن يستعف يعفه الله»، وفيما رواه البيهقي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله بها قلة»[2].

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

(٢) رواه البيهقي.

ونقل عن عمر بن الخطاب دعوته إلى العمل وترك المسألة والتسول: يا معشر الفقراء ارفعوا رؤوسكم واتجروا ولا تكونوا عيالاً على الناس. ومن ثم، فلا يباح السؤال إلا لمن عجز عن العمل أو كان في مكان لم يجد فيه عملاً، وخاف على نفسه الهلاك، أو كان فقيراً لا يجد ما ينفقه على عياله.

ولقد كرر الرسول ﷺ النصيحة لأصحابه بُعدًا بهم عن المسألة والتسول طلباً للمال دون حاجة أو ضرورة، وهذا حكيم بن حزام رضي الله عنه يقول: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: «يا حكيم: إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى». قال حكيم: فقلت: يارسول الله، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا. فكان أبوبكر يدعو حكيماً ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئًا، ثم إن عمر دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله فقال: يا معشر المسلمين: أشهدكم على حكيم إني أعرض عليه حقه الذي قسم الله له في هذا الفيء فيأبى أن يأخذه. فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد النبي ﷺ حتى توفي[1]. ومعنى كلمة يرزأ: يأخذ. ومعنى إشراف النفس: تطلعها طامعة. والسخاوة: صفة محبوبة تنافي الطمع.

إن على أولئك الذين احترفوا التسولَ ومتابعةَ الناس في المساجد والطرقات يسألون الناس إلحافًا أن ينزلوا عند حكم الله على لسان رسول الله ﷺ ويتوقفوا عن السؤال طلبًا للعزة وبعداً عن ذل المسألة وهوانها، فاليد العليا أي المعطية خير من اليد السفلى التي امتدت لأخذ العطاء تسولا، وعلى من امتن الله عليه بنعمته أن ينظر أين يضع صدقته وإحسانه، فلابد أن تكون للمحتاج عن ضرورة أو عجز عن التكسب. ولنستمع إلى قول الله سبحانه توجيهًا وتعليمًا وبيانًا للمستحقين الذين يوجه إليهم القادرون المعونات:

---

(١) رواه الجماعة.



﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾[1]

إن المسألة أو التسول آفة اجتماعية، استمرأها بعض الناس كسبًا للمال، بافتعال أسباب الحاجة استرحامًا لقلوب الناس. وهؤلاء الذين يحترفون السؤال قوة معطلة قد ألفوا هذا التكسب المهين، وعلى المجتمع أن يرتفع بهم ويدفعهم إلى ترك هذه الحرفة المحرمة في الإسلام، ومن واجبات أولي الأمر أن يقاوموا هذه الآفة وأن يوجهوا المحترفين للتسول إلى الأعمال المفيدة المنتجة حتى يصبحوا قوة ينتفع بها المجتمع ويسعد؛ حيث إن المال أمانة كما يقول الله تعالى:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾[2]

---

(١) الآيتان ٢٧٢ و٢٧٣ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٥٨ من سورة النساء.

فضل عيادة المريض

المرض ضد الصحة ونقيضها وهو اعتلال صحة الإنسان، وقد اعتبره الإسلام عذراً فخفف عن المريض في العبادة والجهاد كما في قول الله سبحانه:

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ ﴾(1)

وفي قول الله تعالى:

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾(2)

---

(١) الآية ٩١ من سورة التوبة.
(٢) الآية ٦١ من سورة النور.

وفي قول الله:

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ ﴾[1]

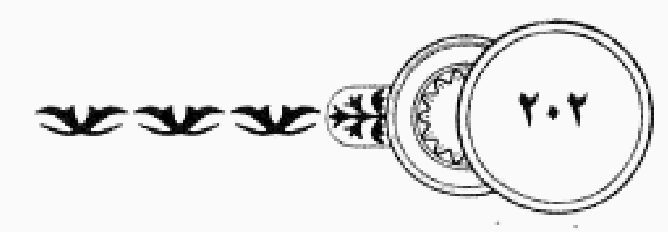
وكذلك أحل تأجيل صوم رمضان للمريض من ذلك قول الله تعالى:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٨٥ ﴾[2]

وقال الله تعالى في شأن الحج:

﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝١٩٦ ﴾[3]

(١) الآية ٨٠ من سورة الشعراء.
(٢) الآية ١٨٥ من سورة البقرة.
(٣) الآية ١٩٦ من سورة البقرة.



في شأن الطهارة للصلاة والإعفاء من استعمال الماء واستبداله بالتيمم ذلك قول الله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾[1]

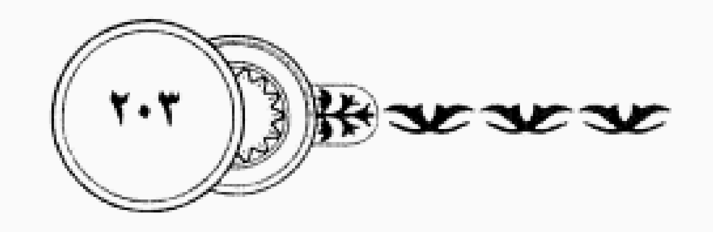
وفي صلاة الخوف قول الله:

﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٌ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةً وَٰحِدَةًۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[2]

---

(١) الآية ٤٣ من سورة النساء.

(٢) الآية ١٠٢ من سورة النساء.



في الإعفاء من قيام الليل قوله تعالى:

﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾ ﴾[1]

والمريض بهذا في حاجة إلى المواساة والمؤانسة حتى لا يداخله اليأس من رحمة الله، وإلى هذا أشارت سنة رسول الله ﷺ، ففي الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني. قال: يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟»[2].

وفي أحاديث عديدة عن البراء بن عازب وأبي هريرة وأبي موسى وثوبان، أمر الرسول ﷺ بعيادة المريض وجعل هذا حقًا من حقوق المسلم على المسلم.

وروت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله عليه وسلم كان يعود بعض أهله فيمسح بيده اليمنى ويقول: «اللهم رب الناس أذهب البأس، اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لايغادر سقماً»[3].

(١) الآية ٢٠ من سورة المزمل.

(٢) رواه مسلم.

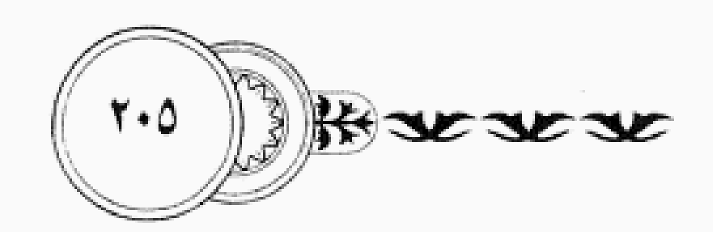
(٣) رواه البخاري ومسلم وابن حبان والترمذي.

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ دخل على أعرابي يعوده، وكان إذا دخل على من يعوده قال: «لا بأس، طهور إن شاء الله»[1].

وهذا توجيه من الرسول ﷺ إلى ما يُتحدث به عند المريض، أن الدعاء والرجاء بالشفاء من الله، وإعلام المريض بأن المرض تطهير لنفسه وجسده، وأن له به أجراً إن شاء الله، تقوية لنفسه، وإذهاباً لليأس الذي قد ينزل به، ومنحاً للأمل في الشفاء. ولا ينبغي التحدث مع المريض بخطورة المرض وعسر علاجه، أو أن فلاناً كان به هذا المرض ووافاه الأجل بعد أن بذل ما بذل في شراء الدواء والعلاج، فإن في هذا إيذاء لنفسه ودعوة للقنوط من رحمة الله، والمطلوب من زائر المريض البشاشة في وجهه والرحمة به والدعاء له بما يَسُرُّه، فقد روى مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: عادني رسول الله ﷺ فقال: «اللهم اشف سعداً، اللهم اشف سعداً، اللهم اشف سعداً». ومطلوب من زائر المريض ألا يثقل عليه بالحديث إذا لم يكن راغباً به أو بإطالة المكث عنده إذا كان في هذا ما يؤذيه، ويَحْسُنُ تلاوة قول الله سبحانه تذكيراً له وتعليماً:

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾[2]

(١) رواه البخاري.
(٢) الآية ٨٠ من سورة الشعراء.



من صفات المتقين

قال الله سبحانه:

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ ﴾[1]

حينما تريد ثوبًا جديداً، أو حلية تتحلى بها، تحاول أن يكون الثوب أو الحلية وكأنه صنع لجسدك، مختص بك، تزهو به بين أقرانك، وهذه الآيات من القرآن تصف لك ثوب التقوى وتعرض عليك مادته لتصنعه بنفسك وعلى مقاييس جسدك، ترتديه فيحفظك من شدائد الحياة ونواقص الفعال، وتحتمي به من لفحات جهنم ومن سوء المنقلب، وتتعايش به بين أهلك وجيرتك في مودة وأخوة.

تدعوك هذه الآيات إلى المبادرة إلى الأعمال الصالحات قبل الفوات، فإن للتأخير والتخاذل عنها آفات، ومن ثم كان أمر الله بالحزم وبفعل أولي العزم في المبادرة إلى أفعال الخيرات تلك التي تؤهل للمغفرة والرحمة والفوز بالجنات.

فالمسارعة إلى وسائل الخير طلبا للمغفرة والرحمة والرضوان بمعنى التسابق إليها كما في قوله تعالى:

---

(١) الآيات من ١٣٣: ١٣٦ من سورة آل عمران.

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[1]

ولقد وصف الأنبياء والأولياء بذلك في القرآن:

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[2]

وقد وصف الله عباده الصالحين في آيات أُخر فقال:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[3]

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يارسول الله، الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة، أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «لا يا ابنة الصديق، ولكن هم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون أن لا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات»[4]. وما هي التقوى التي ينبغي لكل مسلم أن يصل إليها

---

(١) الآية ٤٨ من سورة المائدة.
(٢) الآية ٩٠ من سورة الأنبياء.
(٣) الآيتان ٦٠ [illegible] ون.
(٤) رواه الت[illegible]

حتى تكون ثوبه ودخائل نفسه؟

قال عمر بن عبدالعزيز: ليست التقوى بقيام الليل وصيام النهار والتخليط فيما بين ذلك، ولكن التقوى هي أداء ما فرض الله وترك ما حرم الله، وإن زدت على ذلك فهو خير إلى خير.

وفي القرآن آيات للمتقين تحثهم حثًا على أن يستزيدوا من التقوى كقوله تعالى:

((وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ))[1]

﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾[2]

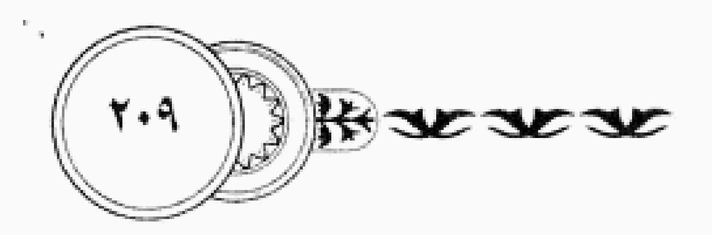
فالتقوى هي قوام أمر الإنسان المسلم وملاك دينه وغاية شرفه في الدين والدنيا:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[3]

ومن مؤهلات التقوى التي سيقت في تلك الآيات الإنفاق والتصدق خالصا لوجه الله في اليسر والعسر كما قال الله:

---

(١) من الآيتين ٢ و٣ من سورة الطلاق.
(٢) الآية ٥ من سورة الطلاق.
(٣) الآية ١٣ من سورة الحجرات.



﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾[1]

وقوله تعالى:

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾[2]

ومن صفات المتقين كظم الغيظ والعفو عن الناس، ونزيد هذا إيضاحًا بقول الرسول ﷺ حين سأله سائل: أوصني. فقال له: «لاتغضب»،[3] ذلك لأن الغضب يتفرع عنه كل شر.

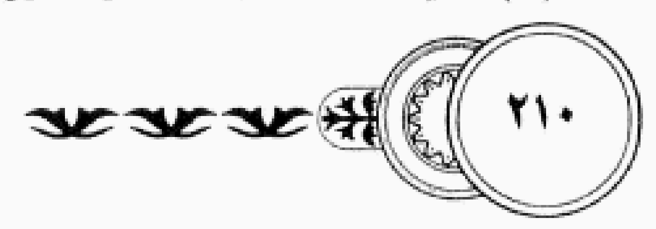
والله يحب المحسنين، ذلك لأن الله كتب الإحسان على كل شيء، مع الناس ومع الحيوان وسائر خلق الله. ومن صفات المتقين التوبة والرجوع إلى الله والندم على ما فرط من ذنوب وآثار، ولنسمع إلى قول الله تيسيراً على عباده وتحريرًا لهم من الخطايا والذنوب:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾[4]

فلنحرص على أن نتحلى بصفات المتقين، ولنتب إلى الله ونرجع إليه، ولنستغفره اتباعًا لرسول الله ﷺ ليس باللسان فقط، وإنما فعلاً وقولاً وقلبًا؛ فلا نصر على المعاصي وإنما ننخلع منها ونسلم لله رب العالمين.

---

(١) الآيات من ٨:١٠ من سورة الإنسان.
(٢) الآية ٧ من سورة الطلاق.
(٣) رواه أحمد وابن أبي شيبة.
(٤) الآيتان ٢٠١ و٢٠٢ من سورة الأعراف.



وليست التقوى ارتقابًا للجزاء في الآخرة فحسب، وإنما هي طريق إلى الحياة الطيبة في الدنيا، قال الله تعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [1]

ذلك وعد الله، وهو حق وصدق، وإرشاد إلى طريق الخير والسعادة، إلى الحياة الطيبة التي لا تدرك إلا بالأعمال الصالحة، بالثبات والاستقامة على طريق الإسلام.

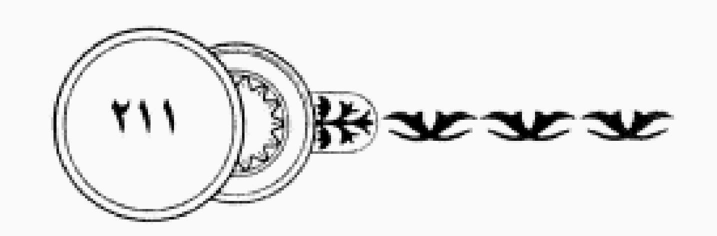
والحياة الطيبة في الدنيا هي السعادة، وقد يحسبها بعض الناس أنها تتمثل في المآكل الشهية الملونة والملابس المتنوعة، والقصور المشيدة المزخرفة والنقود المكتنزة وسائر ما يعتبر عادة وسيلة رفاهية وسعة.

وليست السعادة هي كل ذلك، فإن التوسع في أمور الحياة والتمتع بأنواع شتى من المشتهيات أمر يشترك فيه الصالح والطالح، والبر والفاجر، والله سبحانه يرزق بفضله من يحب ومن لا يحب، ولكنه لا يعطي الدين إلا لمن أحب.

إن الحياة الطيبة في الدارين إنما تدرك وتنال بالأعمال الصالحة وبالتقوى مع الثبات والاستقامة على أوامر الله ومن المحافظة على الصلوات، وأداء الزكوات وبسط اليد بالصدقات وصلة القرابات، والإحسان إلى المساكين والأيتام وذوي الحاجات، والتفريج عن المكروبين والمنكوبين وبخاصة من ذوي الهيئات، والتزود بنوافل العبادات، فإن من لازم هذه الأعمال وكان سعيه في كسب المال الحلال أحياه الله حياة طيبة سعيدة يجد لذتها في نفسه، وتسري بالصحة والطمأنينة على سائر جسده.

---

(١) الآية ٩٧ من سورة النحل.



نعم، إن العمل الصالح من أسباب انشراح الصدر وتيسير الأمر وسعة الرزق وزوال الغم والهم. إن الأموال في ذاتها دون صالح الأعمال، لا تعد من سعادة الحياة، بل هي على الضد من ذلك قد تصبح وبالاً على من انشغل بها ولم يؤد حق الله فيها، يقول الله سبحانه:

﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[1]

فيظهر صاحبها بين الناس جزوعًا هلوعًا تحوطه الهموم ويجافيه السرور.

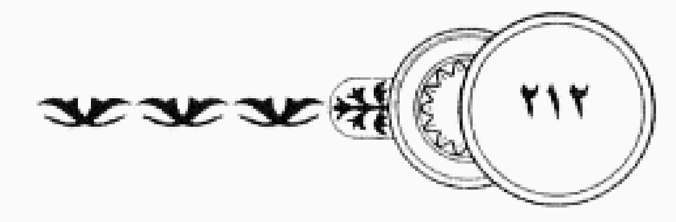
فلنمتثل لأوامر الله ولنراقبه في السر والعلن ولنخلص لربنا العمل، ولنصلح ما بيننا وبين الله يصلح الله ما بيننا وبين الناس، فإن القلوب بيده والأرزاق من فضله، وإن الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهات، فمن أتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ولنعمل من الصالحات ما يكون لنا أجرًا في الدنيا وذخرًا في الآخرة، فما بكم من نعمة فمن الله، والنعم مختلفة متنوعة، فهذا قد رزقه الله مالاً حلالاً، وذاك قد منحه الله العافية والصحة وذلك قد منَّ الله عليه بالعلم وزانه بالأخلاق المرتضاة، وكل أولئك وسيلته العمل الصالح الذي جزاؤه من الله الحياة الطيبة في الدنيا والجزاء الأوفى بأحسن مما عمل في الآخرة. كما في قوله تعالى:

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[2]

---

(١) الآية ٥٥ من سورة التوبة.

(٢) الآيتان ٣٧ و٣٨ من سورة النور.



عباد الرحمن

عباد الرحمن قوم شرفوا بطاعة الله واستقاموا عليها، فلم تغوهم الشهوات، ولم يغرهم ما أوتوا من الأموال والأولاد وكل زينة هذه الحياة.

هم قوم شرفوا بهذه الإضافة إلى اسم الرحمن، فهي إضافة تكليف وتشريف، حيث استوعبوا أحكام الله وأوامره، فأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاموا رمضان كما صاموا عن الدنايا والخطايا.

هم قوم جمعوا المكرمات من الأفعال والأقوال، فهم متواضعون لا عن ذل، ابتغاء أن يرفعهم الله ويعزهم بفضله، ففي الحديث عن أبي هريرة قول الرسول ﷺ: «وما تواضع أحد إلا رفعه الله»[1]. وقوله أيضًا: «من تواضع لأخيه المسلم رفعه الله، ومن ارتفع عليه وضعه الله»[2].

وفي القرآن قول الله في سورة الحجر:

﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[3]

وهم هينون في مشيتهم، ليست خيلاء ولا تكبرا، كما أنها ليست ضعفًا ولا تصنعًا، يسيرون بسكينة ووقار من غير استكبار، ولا أشر، ولا بطر، نزولاً عند أدب القرآن في قول الله في سورة الإسراء:

﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾[4]

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الطبراني.

(٣) الآية ٨٨ من سورة الحجر.

(٤) الآية ٣٧ من سورة الإسراء.

وهم لا يجهلون إذا جهل عليهم أحد، فليسوا سراع الغضب، وإنما حلماء كرماء يعفون ويصفحون، ولا يقولون إلا خيرا، كما كان رسول الله ﷺ لا تزيده شدة الجاهل عليه إلا حلما، وكما قال الله:

﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[1]

وقول الله:

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[2]

وهم يبيتون لربهم رُكَّعًا وسجداً وقياماً في طاعته وعبادته كما وصفهم القرآن في أكثر من آية، فقال الله:

﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾[3]

وقال:

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[4]

---

(١) الآية ٥٥ من سورة القصص.
(٢) الآية ١٩٩ من سورة الأعراف.
(٣) الآية ١٧ من سورة الذريات.
(٤) الآية ١٦ من سورة السجدة.

وقال:

((أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ))[1]

وهم قوم:

﴿ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[2]

فليسوا مبذرين في الإنفاق ولا بخلاء يكنزون المال ويحبسونه عن مصارفه المشروعة في سبيل الله وعلى الأهل وأرباب الحاجات، بل عدلا خيارا، وخير الأمور أوسطها، وإلى هذا يشير قول الله تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[3]

وهم قبل كل هذا وبعده:

﴿ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾[4]

بل يعبدونه لايشركون به شيئا، ولا يرتكبون آثاما وأوزارا، فلا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، ولا يزنون لأنهم يعلمون أن من يفعل ذلك يلق آثاما. فهذه آثام حرمها الله، وعباد الرحمن براء منها يعرفون غلظ أمرها وسوء عاقبتها في الحال والمآل، ونصوص القرآن والسنة في تحريمها وغيره كثيرة، ومن تاب عما أثم يبدل الله سيئاته حسنات وكان الله غفوراً رحيماً.

---

(١) من الآية ٩ من سورة الزمر.
(٢) من الآية ٦٧ من سورة الفرقان.
(٣) الآية ٢٩ من سورة الإسراء.
(٤) من الآية ٦٨ من سورة الفرقان.

وعباد الرحمن قوم لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما، أي أنهم لا يشهدون مجالس شر أو كذب أو فسق أو كفر أو لغو وباطل أو غيبة ونميمة وبهتان أو خمر، وبالجملة مجالس السوء بكل صنوفه، أو أنهم إذا دعوا للشهادة لم يشهدوا إلا حقا، ولم يقولوا إلا صدقًا، فإن الشهادة زورًا كذبُ متعمدُ على الغير وهي من أكبر الكبائر كما حدَّث الرسول الله ﷺ.

ثم هم إذا ذُكِّروا بآيات ربهم:

﴿ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [1]

بخلاف غيرهم ممن لم يؤمنوا، فإن هؤلاء إذا سمعوا آيات الله لم تؤثر فيهم، بل ازدادوا صمماً فلا يسمعون، وعمىً فلا يبصرون ولا يتبصرون ولا يفقهون.

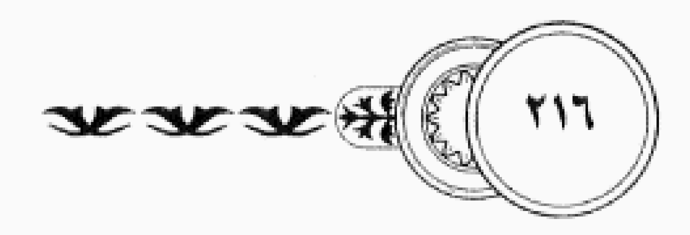
وعباد الرحمن يدعون ربهم أن يهبهم من ذرياتهم من يطيعه ولا يعصيه، ويعبده ولا يشرك به، فهم يريدون صلاح أمرهم وذرياتهم وأقوامهم، وهم يدعون ربهم ويطمعون أن يكونوا للمتقين إماما، أي دعاة للخير والهدى يُقتدى بهم وينتفع الناس بآثارهم من علم وصدقة جارية.

وإذا كان هذا حال عباد الرحمن فما جزاؤهم عند ربهم؟ لنستمع إلى قول الله سبحانه في وصفهم وجزائهم:

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ

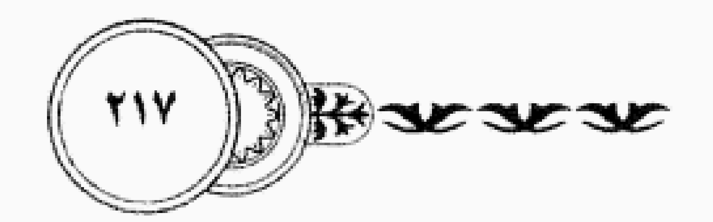
---

(١) من الآية ٢ من سورة الأنفال.



رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ ﴾[1]

(١) الآيات من ٦٣:٧٦ من سورة الفرقان.



خصائص لا نقائص

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل[1].

في كتب اللغة أن اللعن: الإبعاد والطرد من الخير. وقيل: الطرد والإبعاد من الله، ومن الخلق السب والدعاء.

واللعنة الاسم، ولعنه يلعنه لعنًا طرده وأبعده، ويقال: رجل لعين وملعون. ومن هذا المعنى قول الله تعالى:

﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[2]

أي أبعدهم من رضوانه ورحمته.

وهذا الحديث الشريف يهدي المسلمين والمسلمات إلى الالتزام بالخصائص التي يعرف بها الرجل من المرأة، فلا يتشبه أحدهما بالآخر بأن يتزين الرجل بلباس المرأة، أو المرأة بلباس الرجل، إذ إن هذا قد حرم على المؤمنين والمؤمنات.

فالرجل في المجتمع الإسلامي له صفاته وخصائصه ومهامه، والمرأة كذلك لها خصائصها وصفاتها ومهامها، ولا ينبغي أن تزول الفروق بينهما سواء في المظهر أو المخبر.

ومن ثمَّ اشتد وعيد الإسلام وحكمه على هؤلاء المتشبهين من الرجال بالنساء، وعلى أولئك المتشبهات من النساء بالرجال.

---

(١) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٢) الآية ٨٨ من سورة البقرة.

ففي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء. وفي رواية: لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال[1].

والمخنث من الرجال هو الذي يتشبه بالنساء في حركاته وكلماته ولباسه.

والمترجلة من النساء هي التي تتشبه بالرجال في حركاتها وكلماتها ولباسها.

وهذا هو ما أكده الحديث الشريف رأس هذا الموضوع والذي نص على النهي عن أن يلبس الرجل ثياب المرأة أو أن تتزين المرأة بثياب الرجل.

إن ما نشاهده اليوم في بعض المجتمعات الإسلامية من ارتداء نفر من الشباب الملابس التي ترتديها الفتيات، ومن إطلاق شعورهم، وتعليق السلاسل الذهبية حول الأعناق، تتدلى على الصدور المكشوفة، وإطالة الأظافر وطلائها، ومن وجود فتيات قد ارتدين "البنطلونات" الضيقة المحددة لبعض أجزاء أجسادهن الأمر الذي يلفت النظر إليهن، بل ويغري الشباب بمطاردتهن ومضايقتهن، ويلبسن القمصان على طريقة الرجال، وقد كشفن رؤوسهن وحسرن عن سواعدهن، حيث غدت أو غدون كشباب الرجال.

إن هذه الصور التي شاعت في مجتمعاتنا الإسلامية، قد أُوفِدت الينا من مجتمعات شاع فيها الانحلال، والفوضى، وانتشرت فيها الأمراض الجنسية والنفسية والعصبية، وبرزت فيها موجات من الوجودية، والتحلل من كل القيم الإنسانية الأصيلة.

ومن هنا، كان من فقه هذا الحديث الشريف وجوب احتفاظ كل من الرجال ومن النساء بالخصائص التي يعرف بها من ثياب وحركة وحديث، وتحريم هذا التشبه الغريب عن مجتمعنا الإسلامي المخالف لنصوص شريعتنا.

---

(١) رواه البخاري.



إن الإسلام لا يحرم الرجل أو المرأة من التزين والتمتع ولكن في حدود المباح والمأمور به:

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (1)

وقوله:

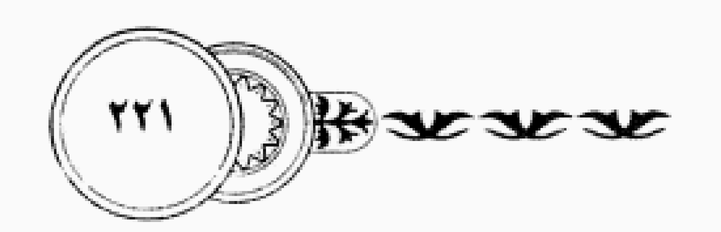
﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (2)

فليحرص شبابنا وبناتنا، بل رجالنا ونساؤنا بوجه عام على الالتزام بخصائص الرجال للرجال وبخصائص النساء للنساء، خصائص لا نقائص، وليحرص الآباء والأمهات على تنشئة أولادهم ـ فتياناً وفتيات ـ على هذه الآداب الرفيعة التي جاء بها الإسلام، بل وليحرص القلقون على أمور التعليم في مراحله المختلفة على توجيه الطلاب والطالبات إلى هذا الالتزام الذي ينشيء جيلا له ذاتيته، وكيانه ودينه الذي يعصمه من الانزلاق إلى ما هوت إليه المجتمعات الأخرى.

---

(١) الآية ٢٧ من سورة الأعراف.

(٢) الآيتان ٣٢ و٣٣ من سورة الأعراف.



ولنعمل جميعًا على أن نكون قريبين من الله بطاعته والالتزام بأوامره وتوجيهات رسول الله محمد ﷺ، ولنحسن العمل، فإن رحمة الله قريب من المحسنين.

الفهرس الموضوعي


عربية للطباعة والنشر
٧ - ١٠ شارع السلام أرض اللواء المهندسين - تليفون : ٣٢٥٦٠٩٨ - ٣٢٥١٠٤٣